مع القرآن الكريم

تأليف

أحمد بن محمد طاحون

قدم له

أحمد صلاح جمجوم

مكتبة
بحر العلوم للنشر والتوزيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* * * *

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة : ٢٠١]

ح : أحمد بن محمد طاحون ، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

طاحون : أحمد بن محمد

مع القرآن الكريم - جدة

١٣٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ١ - ٣٧٣ - ٣٤ - ٩٩٦٠

١ - القرآن ٢ - مباحث عامة أ - العنوان

ديوى ٢٢٩ ١٨/١٨٧٧

رقم الايداع : ٢٠٠٩ / ١٠٣٥٨

الطبعة الأولى : ١٤٠٠ من الهجرة

١٩٨٠ من الميلاد

« ثم طُبع مرارًا »

وهذه طبعة ١٤٢٩ من الهجرة

٢٠٠٨ من الميلاد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

* * * *

« إن أحسنَ الحديثِ كتابُ اللَّه تبارك وتعالى .
قد أفلح من زيَّنه اللَّهُ فى قلبه ، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر ،
واختاره على ما سواه من أحاديث الناس .

إنه أحسنُ الحديث وأبلغُه .

أَحِبُّوا ما أحبَّ اللَّهُ .

أحبُّوا اللَّه من كل قلوبكم .

ولا تَمَلُّوا كلامَ اللَّه وذِكرَه ، ولا تقسُ عنه قلوبكم » .

من خطبة لرسول اللَّه ﷺ

* * * *

صدر للمؤلف :

* مرشد الدعاة إلى اللّه (دراسة وتطبيق) .
* رياض الفالحين ومنار السالكين .
* أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم (خمسة أجزاء).
* أخرج كتاب الشكر وكتاب التوكل للإمام ابن أبى الدُّنيا من علماء القرن الثالث من الهجرة مع زيادات وتعليقات وتعريف بالمؤلف وعصره .
* الكوكب المنير فى أدب النفس وتهذيب الضمير .
* هداية المريد لتحصيل معانى كتاب : « تجريد التوحيد المفيد » للإمام المقريزى (طبعة منقحة ومزيدة) .
* الفائق فى الأخلاق والتربية [تنقيح وتلخيص كتاب : فضل اللّه الصمد فى توضيح «الأدب المفرد » للإمام البخارى] .
* أذكار ودعوات مباركات . * في شهر الصوم خواطر ومسائل .
* إلى البرهان يا أولى الألباب . * حضارة الإسلام وأروبا .
* مع القرآن الكريم . * الدعاء المبرور لحجاج بيت اللّه المعمور .
* سليمان الحكيم وبلقيس ملكة سبأ ودروس وعبر من النملة والهدهد .
* يوم الفرقان . * الثمار والرياحين في قصص من القرآن الكريم .
* فى فجر الإسلام « عرض قصصى » .
* زاد الأتقياء من وصايا خاتم الأنبياء .
* الزهور النديّة فى « خصائص وأخلاق خير البرية » : « تلخيص وتهذيب المقصد الثالث من كتاب المواهب اللّدنيَّة بالمنح المحمدية » للإمام القسطلانى .
* فى أنوار سورة الفرقان . * فلسطين والقدس أمانة الآباء فى عنق الأبناء .
* البيان [ستّ رسائل] . * البستان (١٤ رسالة) .
* مع بحر النور الهادي البشير ﷺ . * الفتنة العمياء أم الأمن والرخاء .
* صاحب الخلق العظيم (فى نور سورة القلم وهدايتها) .
* تحديد الربح سَلفًا أو نسبته : ما حدُودُه ؟ (رسالة) .
* الصيدلى والصيدلة (رسالة محققة في أخلاق المهنة) .
* الضياء من آبينا آدم إلى خاتم الأنبياء .

تقديم :

بقلم : أحمد صلاح جمجوم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أحمدُ اللّه وأصلِّى وأسلِّم على خاتم الأنبياء والمرسَلين سيدنا محمد النبىِّ الأُمِّىِّ وعلى آله وصحبِه أجمعين ، النبىِّ الذى بعثه ربُّه بشيرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف : ٩] .

آخرُ الكتب السماويّة :

القرآنُ الكريمُ هو كتابُ اللّه المُنزَّل على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ وهو كلمةُ اللّه الأخيرة إلى البشريَّة عامَّة : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ : ٢٨] .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . فهو للناس كافَّة وللعالمين من وقتِ نُزوله ، إلى أن تقومَ الساعة ، وإلى أن يرثَ اللّهُ الأرضَ وما عليها .

والقرآنُ الكريمُ هو الصورةُ الأخيرة لدين اللّه ، وهو المرجعُ الأخيرُ فى منهج الحياة وشرائع الناس ونظامِ حياتهم بلا تعديل ، ومن ثَمَّ فكلُّ اختلافٍ يجب أن يُردَّ إلى هذا الكتاب ، ليفصِلَ فيه ، سواءٌ كان هذا الاختلافُ فى التصوُّر الاعتقادىِّ بينَ أصحابِ الدِّياناتِ السماوِيَّةِ ، أو فى أمرٍ مِن أمورِ الشريعةِ التى جاء هذا الكتابُ بصورتِها الأخيرةِ ، أو كان هذا الاختلافُ بين المسلمين أنفسِهم ، فالمرجعُ الذى يعودون إليه بآرائهم فى شأن الحياةِ هو هذا الكتابُ ، قال تعالى :

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة : ٤٨]

(فى ظلال القرآن الجزء الثانى ٩٠٢ طبعة دار الشروق) .

وقال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء : ٦٥] .

القرآنُ حَفِظَهُ اللَّهُ بمعناه ولفْظِه :

والقرآنُ الكريم هو الكتابُ السماويُّ الوحيدُ الذى ينفردُ بأنه النصُّ الحرفيُّ الدقيقُ ، الذى لم يطرأ عليه شىءٌ من التعديلِ أو التحريفِ أو التبديل على مرِّ السنين والأعوام ، وذلك بعنايةٍ مُقدَّرة من قِبَلِ اللَّه تعالى ليحفظَ المنهجَ الكاملَ للبشريَّةِ سليمًا نقيًّا من كل الشوائب ، وليكونَ حجةَ اللَّهِ تعالى على البشريَّة جمعاء بالرسالة السماوية الخالدةِ الصَّالحة لكل زمانٍ ومكانٍ .

قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت : ٤١، ٤٢] . ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر : ٩] . ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف : ٢٧] .

المنهج الكامل :

والقرآنُ الكريمُ يَحوى منهجًا كاملًا للحياةِ البشريَّة ، يشمل كلَّ القضايا الرئيسةِ التى يحتاجُ إليها البشرُ فى حياتِهم الدُّنيا ، والتى تُوصِّلُ المؤمنين العاملين المخلصين لدينهم بسلام إلى الدار الآخرة ، حيث يَنعمون بالخلود فيما لا عَينٌ رأتْ ، ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطر على قلبِ بشر ، قال تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام : ٣٨] . ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف : ٥٤] .

وإنَّ القرآنَ بهذا الشمولِ والاستيعاب يُجيب عن جميع أسئلةِ الفِطرةِ التى تَخطرُ على أذهان كلِّ الناس عن الكون والحياة والإنسان ، إجابةً صحيحة تستقيم بها حياةُ الإنسان على هذا الكوكب وتصلُ به إلى الآخرة بسلام .

للكونِ إلهٌ واحدٌ :

ولقد عُنى القرآنُ الكريم بالإجابة عن السؤال الذى يَخطر دائمًا بأذهان الناس : عن خالق هذا الكونِ ومُدبِّره ، وهو اللَّه وحده لا شريكَ له ، ولم يظهر فى الوجود حتى الآن مَن يدَّعى أنه خلَق السماواتِ والأرضَ ، قال تعالى فى سورة الزخرف : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [آية : ٩] . وقال تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [آية : ١٠٢] .

وقال تعالى فى سورة الرعد : ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [آية : ١٦] .

أمَّا ما يُنسب إلى الطبيعة أو الصُّدفة أو التطوُّر ، فإنْ هى إلَّا أسماءٌ سُمِّيت بغير عِلْم ولا منطق ، وفى كل يوم يَكشفُ العلماءُ عن أدلَّةٍ وشواهِدَ تُثبت أن لهذا الكونِ إلهًا عظيمًا قديرًا مدبِّرًا ومُبدعًا ، فقد تجلَّى ذلك بوضوح لدى علماءِ الفلك ورُوَّادِ الفضاءِ ، كما تجلَّى لدى علماءِ الأجنَّة وعلماءِ الطبِّ ، قال تعالى فى سورة فصلت : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [آية : ٥٣] .

القرآنُ يَهْدى إلى الحقِّ :

ويُجيب القرآنُ الكريمُ عن أسئلةِ المُتحيِّرين إزاءَ أساسِ خَلْق البَشر ، ونهايتهم ، وغايةِ معيشتهم ، ومنهج حياتهم ، إجاباتٍ حاسمةً واضحةً تُزيل كلَّ لَبْسٍ وإبهام .

فقد خلَق اللّه تعالى أبانا آدمَ من تُراب ، ثم قال له كن فكان بشرًا سويًّا لم يتطوَّر عن القِرَدة ، كما تدَّعى النظريةُ الكافرةُ الجاهلةُ ، وهى نظريةُ داروين التى تحطُّ مِن قدْر الإنسان وقيمته ، وهو الذى كرَّمه اللّه وفضَّله على كثير من خلقه ، قال تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [آية : ٧٠] .

ويُبعث الناسُ بعد موتهم فيعودون إلى خالقهم وبارئهم ، ليحاسِبَهم على أعمالهم ، فَيُثِيبَ المحسنَ بإحسانِه ويُجازىَ المسىءَ بما أساء ، قال تعالى فى سورة المؤمنون : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [الآيات : ١٢ - ١٦] .

وأمَّا غايةُ الخَلْق فهى غايةٌ شاملة ، تشمل الحياةَ كلَّها ، وما يتمُّ فيها من أعمال قال تعالى فى سورة الذاريات : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [آية : ٥٦] . والعبادة مَداها واسعٌ وشاملٌ تشمل ما يلى :

أولًا : عبادةَ اللّه وشكرَ المنعم سبحانه وتعالى ، وإخلاصَ العبادة ، ولزومَ أمره واجتنابَ ما نهى عنه .

ثانيًا : وتشمل كلَّ فكر وكلَّ شعور يُراد به وجهُ اللّه ، ويشمل مفهومُ العبادة مُهمَّةَ الخلافةِ فى الأرضِ ، كما يشملُ عِمارةَ الأرض ، وبذلك يصبح العملُ لعمارة الحياة عبادةً ، والتعليمُ عبادةٌ ، والسعىُ فى الرِّزق عبادةٌ ، والزواجُ ومداعبةُ الأهل وتربيةُ الأطفال كلُّها عباداتٌ للّه ، وكذلك النشاطُ الاقتصادىُّ والسياسىُّ والاجتماعىُّ والفكرىُّ والفنىُّ الذى لا انحراف فيه عن قِيَمِ الإسلامِ

كلُّه عبادة ؛ والسعىُ إلى إقامة الحقِّ والعدلِ فى الأرض عبادة . . . إنَّ كلَّ ذلك عبادةٌ ، إذا كان أداؤه والتحرُّكُ فيه مُراعًى فيه وجْهُ اللَّه تعالى .

العقيدة والشريعة لا تنفصلان :

إنَّ التشريعَ الإلهىَّ الذى جاء فى القرآن الكريم ، وفى السُّنَّةِ النبويَّة ، وهى التى تُكمِّل القرآنَ الكريمَ ، وتشرحُه ، يوضِّح منهجَ الحياة البشريَّة الأمثل ، ذلك أن الشريعة هى التى تُنظِّم الحياةَ البشريةَ ، وعلاقةَ الإنسانِ بنفسِه وبأسرتِه ومجتمعه ، وبالفرد العادىِّ وبالحُكم وبالدَّولة ، وتنظِّم علاقةَ الدولةِ بالدول الأخرى ، وبالمجتمع الإنسانىِّ كلِّه ، فإذا كانت الشريعةُ بهذا المعنى ، تنظِّم منهجَ الحياةِ البشريَّة وأسلوبَ المعيشة الإنسانيَّةِ على وجهِها الأمثلِ ، فإن العقيدةَ تُمثِّل العلاقةَ العقائديَّةَ بخالق هذا الكونِ الذى شرع للبشريَّة منهجَ حياتها فى كتابه المقدَّس القرآنِ الكريم ، ويتَّضح أن العقيدةَ والشريعةَ مرتبطتان ارتباطًا وثيقًا بحيث لا تنفصل إحداهما عن الأخرى ؛ لأن الإيمانَ القائم على الاعتقادِ باللَّه لا يتمُّ إلَّا بالإقرار لهذه الشريعةِ ووجوب تطبيقها فى الحياة .

ومن الناحية التشريعيَّة فقد شمل القرآنُ الكريم منهجًا كاملًا للحياة البشريَّة ، يُحقِّق لمَن يتَّبعه ويطبِّقه حياةً إنسانيَّة رفيعةً فى الدنيا ، وسعادةً كاملةً فى الآخرة ، قال تعالى فى سورة النحل : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [آية ٩٧] . فالإيمان هو العقيدة ، والعمل الصالح هو المنهج القرآنىُّ .

والشريعةُ المستمَدَّةُ من القرآن الكريم ومن السنَّةِ النبويَّة تضع القواعدَ والقضايا الثابتةَ للتَّشريع ، وتترك للعقل المؤمن بابَ الاجتهادِ ليستنبط من

الكتابِ ومن السنَّة التفصيلاتِ المتغيِّرةَ التى تتغيَّر بِتغَيُّر النشاطِ الإنسانىّ ، وهذه هى مهمَّة الفقه الإسلامىّ المُستمدّ من القرآن الكريم ومن السنَّة النبويَّة .

لا إفراط ولا تفريط :

فإذا استعرضنا كلَّ المناهج والنُّظم التى عرفتها البشريَّةُ فى ماضيها أو فى حاضرها نجدُ أنَّ الإسلام هو نقطةُ الوسَط المُتوازنِ بين المُتطرِّفات التى تعانى منها البشريَّةُ .

فالنِّظامُ الاقتصادىُّ الغربىّ يُبيح الملكيةَ الفردية بلا حدود ، فينشأ عنها طغيانُ الإقطاع واستبدادُ رأسِ المالِ وتَحكُّمُه فى المجتمع ، بينما يبالغُ النِّظام الشيوعىُّ فى إلغاء الملكيَّةِ الفرديَّة ، مِمَّا يؤدِّى إلى طُغيان الدولةِ على حساب الحريَّاتِ العامَّة .

ونجد القرآن الكريم يُبيح الملكيَّةَ الفرديَّة فى إطار حدودٍ تمنعُ طغيانَ المالكين ، وذلك عن طريق منْع تضخُّم الثروةِ بتحريم الرِّبا وتحريم الاحتكارِ وبقوانين الميراثِ الذى يُفتِّت الثَّروةَ بتوزيعها على الورثة ، كما نجد حقوقَ الدَّولةِ محكومةً بالمنهج القرآنىّ الذى يقضى بالشُّورى أساسًا لنظام الحكم فى الإسلام ، وبذلك . . . يحتفظ كلٌّ من الفرد والمجتمع بحقوقٍ وواجبات فى تَوازُن واتِّساق .

ومن وسطيَّة الإسلام ونظرته الصحيحة إلى الكون والحياة :

وبينما قامت أفكارٌ فى الماضى على أساس أن كل شىء فى الكون والحياة ثابتٌ لا يتغير ، وقامت أفكار مضادةٌ فى الحاضر على أساس أن كل شىء فى الكون والحياة متطور ولا شىءَ ثابت على الإطلاق ، نجد هذا الكتابَ العزيزَ المعجز يُشير إلى أن هناك أشياءَ فى الكونِ والحياةِ ثابتةٌ

لا تتغيَّر ، وأشياءَ أخرى دائمةُ التغيُّر .

وإلى الجسد والرُّوح :

وبينما قامت عقائد ونُظمٌ على أساس أنَّ الرُّوحَ هى المِحورُ ، وأنَّ الجسدَ والمادةَ أمورٌ تافهة ، وأن الروحَ والقيمَ مجرَّدُ انعكاسٍ لها ، نجدُ أن هذا الكتابَ المُعجزَ يشير إلى وجود الرُّوح والجسد معًا ، وإلى أن الروحَ والمادةَ مترابطتان غير منفصلتين ، ويُفصِّل القرآنُ الكريمُ منهجَ الحياة على هذا الأساس الشامل الكاملِ المترابط ، أى على أساس أنَّ الإنسانَ روحٌ وجسد فى آنٍ واحدٍ ، وأنَّه يعيش للدُّنيا وللآخرة فى آنٍ واحد ، وأن الحضارة الإنسانيَّةَ ينبغى أن ترتكزَ على الأمرين معًا فى توازُنٍ واتِّساق ، قال تعالى فى سورة القصص : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [آية : ٧٧] .

من الإعجاز العلميّ :

ولا يفوتنا أن نشيرَ بإيجاز إلى الإعجاز العلميّ فى القرآن الكريم ، فقد نزل هذا الكتابُ العزيزُ فى أُمَّة أُميَّة لا تقرأ ولا تكتب ، ولم يكن لديها رصيدٌ من العِلْم ، كما هو الحال فى العصر الحاضر ، وفى وقت باكر يرجع إلى أربعةَ عشرَ قرنًا أو تزيد جاءت فى القرآن الكريم إشاراتٌ كونيَّةٌ لم تكن معروفةً للعرب الذين خوطبوا بهذا القرآن أولَ مَرَّة ، ولا للبشريَّة كلِّها المخاطَبةِ ضِمنًا بالقرآن الكريم ، فحين نزل الكتابُ العزيزُ لم تكن البشريَّةُ تعرف أن مهمَّةَ الجبالِ فوق سطح الأرض هى حفظُ التَّوازُن فيها ، ولكن هذا الكتابَ المعجزَ أشار إلى ذلك كما فى قوله تعالى فى سورة لقمان : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ [آية : ١٠] .

لم تكن البشريَّةُ تعلم أنَّ اللَّبنَ الذى تُنتجه إناثُ الحيوان يُنتَجُ من بين فَرثٍ ودمٍ ، أى الغذاء المهضوم والدَّم ، ولكن هذا الكتابَ المعجز أشار إلى ذلك فى قوله تعالى فى سورة النحل : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [آية : ٦٦] .

وكثيرٌ مثلُ هذه الإشاراتِ الكونيَّة ، وغيرها فى النَّفس الإنسانية ، ويكفى أن أُحِيل القارئَ إلى بحثٍ واحدٍ فى جانبٍ منها ، هو كتابُ (موريس موكاى) الطبيب الفرنسىّ عن مُعجزاتِ القرآنِ فى عالم الطبِّ .

كتاب (مع القرآن الكريم) :

وإننى حين قرأتُ كتابَ (مع القرآن الكريم) الذى أقدِّمه للقرَّاء ، وجدتُ أن المكتبةَ الإسلاميَّةَ فى حاجة إليه ؛ لأن هذا الكتابَ يقدِّم جوانبَ تتَّصل بكتاب اللَّه العزيزِ بأسلوبٍ سهلٍ وعرضٍ شائق ، الناسُ فى حاجة إلى معرفتها والتبصيرِ بها ، كما أنه يُشوِّق النفوسَ إلى ضرورة العنايةِ بكتابِ اللَّه حفظًا وتلاوة . . وتدبُّرًا وفهمًا ، وعملًا بأحكامه ، مع التزامِ فضائله ، إلى جانب الفصولِ التى تتحدَّث عن ترتيب القرآنِ وجمْعه ، وتبيِّن معنى النَّاسخ والمنسوخ ، وما يتَّصل بتفسير القرآن بالرأى ، وغير ذلك من الأمور والمباحث التى لا غِنَى للمسلم عن معرفتها والإلمام بها .

أسأل اللَّه عزَّ وجلَّ أن يجعل القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلوبنا ، ونورَ صدورنا وجَلاء أحزاننا ، وذَهابَ هُمومنا .

وأن يجعلنا من أهل القرآن الكريم . . . . آمين . . .

* * * *

تصدير :

القارئُ العزيز :

بعث اللَّه نبيَّه محمدًا ﷺ على فترة من الرسل ، وقلَّةٍ من العِلم ، وانتشارٍ من الجهل ، واعتزامٍ من الفتن ، وضلالةٍ من الناس ، وأنزل عليه القرآنَ ، فآمن به رجالٌ ونساءٌ ، وشبان وشابات ، تعلَّقت بالقرآن قلوبُهم ، وتفهَّموا أغراضَه ومراميَهُ ، ووزنوا مسالِكَهُم بميزانه ، وهُدوا إلى تطبيق أحكامه ، وكانت الآياتُ تنزل على النبيِّ ﷺ فيتلونها ، ويتدبَّرونها ، ويعملون بها ، ويقفون عند حدود ما أمرتْ به ونهتْ عنه ، كان العمل قرينَ العلمِ عندهم ، فسادوا وعزُّوا ، وأقاموا صرحًا حضاريًّا نمت فى ظلاله حقوقُ الإنسان فنَعِمَ الناس بالعدل والمساواةِ والإخاء ، وتحقَّق التكافلُ والتعاون على جلْب المصالح ودفعِ المضارِّ ، وأقبل المسلمون على تراث الأممِ الغابرة من يونانَ وفرسٍ وهنود وروم ، فانتفعوا بالصالح منه ، وأقاموا مُعوجَّه وأصلحوا فاسدَه ، ونبذوا باطِلَهُ وبيَّنوا زيغَه وانحرافه عن جادَّةِ العقل المستقيم ، والتفكير الراشد السديد ، ذلك لأن القرآن الكريمَ هذَّب طباعَهُم ، وصقل أذواقَهم ، وأفكارهم ، وفتح أمام العقول المجالَ الرحب للتفكير والبحث عن كل صالح ، وَلَفَتَ إلى آيات الكون وما فيها من جمال وتناسُق وانتظام وإبداع ، وما فيها من منافعَ ورحمةٍ بالعباد ، لِيَتَّخذوا من هذه الآيات الكونيَّة أدلَّةً وبراهينَ على وجود الخالق المدبِّرِ الحكيم وعلى قُدرته المطلَقة ووحدانيته ورحمته بعباده ، حتى يكونَ الإيمان عن يقينٍ راسخ ، ثم لينتفعوا بما أودع اللَّه فى الكون المحيط بالإنسان من أسرارٍ ومنافعَ تجِلُّ عن الحصر ، ويُهَيَّأُ الانتفاعُ بها لكل عامل مجتهد .

إنَّ القرآنَ الكريم هو روحُ أمتنا الإسلاميَّة وحياتها به ، وبتطبيق أحكامه وشرائعه ، وبالعمل بما جاءنا به يكون الهُدى والعِزُّ والنصر والتأييد : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر : ٥١] .

وبالتمسُّك به والعمل بما فيه نحفظ وحدتَنا ، ويتحقَّقُ رخاؤنا وتكافلُنا وتكون لأمَّتنا وجهةٌ فكريَّةٌ وعقائديَّة ومسلكيَّة تضمن تماسُكَها وتعاونَها ، فلا تقْوى الأهواءُ على تمزيقها ، ولا تستطيع الفلسفات الأرضيَّةُ أن تنالَ من قوَّة رابطتها وإخائها : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور : ٥٥] .

نعم : إن العزَّ والتمكين بالإيمان الصادق ، وبالعمل الصالح ، على مقتضى كتاب اللَّه العزيز وسنَّة نبيِّه الهادى الأمين ﷺ .

وإنى لأتركُ للقارئ أقسامَ هذا الكتاب وصفحاته يُقلِّب فيها الفكر والنظر راجيًا من وراء ذلك رحمةَ اللَّه وعفوَه ، وأن تلتقىَ القلوبُ المُحبَّة للحقِّ وللخير وللإنسانيَّة على العمل ، من أجل العناية بالقرآن الكريم تلاوةً وتدبُّرًا وحفظًا وعملًا ، وكم أتمنَّى أن يسعى المخلصون فى أرجاء الوطن الإسلاميِّ لإقامة مدارس تحفيظ القرآن ، مع العناية به وبالعلوم التى تُعين على فهم معانيه واستنباطِ أحكامه فى جميع مراحل التعليم ، حتى يظلَّ القرآن مهيمنًا على فكر الناشئة والأجيال ، التى يُراد لها أن تحمل مسؤوليةَ البناء فى أوطاننا ، فلا تلعبُ بها الأهواء ، ولا تَزيغُ عن جادَّة الحقِّ والهُدى ، وتظلُّ قويَّة العقيدة ، مستنيرة الفكر ، رشيدةً فى أعمالها ومسالكها . واللَّه الموفق للخير والهدى والسداد .

أحمد بن محمد طاحون

(جدة فى عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م)

القسم الأول

* نزول القرآن منجَّمًا .
* معنى النَّاسخ والمنسوخ .
* المكِّيُّ والمدَنيُّ من سور القرآن الكريم وآياته .
* كُتَّاب الوحْى .
* ترتيبُ القرآن الكريم وجمْعه .
* تفسير القرآن الكريم بالرأى .
* القرآن الكريم أعظمُ معجزات النبيِّ ﷺ تتحدَّى العقْل إلى يوم القيامة .

* * *

* * * *

حديث شريف : فى فضل القرآن العظيم :

قال عليُّ بنُ أبى طالب رضى اللَّه عنه : سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول : « أمَا إنها ستكونُ فِتْنَةٌ ، قلتُ : فما المُخْرِجُ منها يا رسولَ اللَّه ؟ قال : كتابُ اللَّه تعالى فيه نَبَأُ ما قبلَكُمْ وخَبَرُ ما بَعْدَكُمْ ، وحُكْمُ ما بينكم ، هو الفصْلُ ليس بالْهزل ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ تعالى ، ومن ابتغَى الهُدى فى غيره أضلَّهُ اللَّهُ تعالى ، وهو حبْلُ اللَّهِ المتينُ ، وهو الذِّكْرُ الحكيمُ ، وهو الصِّراطُ المستقيمُ .

وهو الذى لا تَزيغُ به الأهواءُ ، ولا تَلتبِسُ به الألسنةُ ، ولا تَشْبَعُ منه العلماءُ ، ولا يَخْلُقُ على كثرةِ الردِّ ، ولا تنقَضِى عجائبُه ، وهُو الذى لم تنتَهِ الجِنُّ إذ سَمِعَتْهُ حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾

[الجن : ١ ، ٢] .

مَنْ قال به صَدَق وَمَنْ عَمِل به أُجِر ، ومَنْ حَكَم به عَدَل ، ومَنْ دُعِىَ إليه هُدِىَ إلى صرَاطٍ مستقيم » .

وفى لفظ : « ومَن دَعَا إليه فقد هَدَى إلى صِراطٍ مُستقيم » .

[أخرجه الترمذى] .

* * * *

نُزول القرآن مُنَجَّمًا

قال اللّه تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان : ٣٢، ٣٣] .

القرآنُ الكريم لم ينزل على نبيِّنا محمدٍ ﷺ جُملةً واحدة ، وإنما نزل نُجومًا نجومًا ، وفى الآيتين الكريمتين إشارة إلى ذلك ، لأن الكُفَّار وخصوصًا اليهود حين رأَوْا نزولَ القرآن مُفَرَّقًا قالوا : هلَّا أُنزِل عليه القرآنُ جُملةً واحدةً كما أُنزلت التوراةُ على موسى ، والإنجيلُ على عيسى ، والزبورُ على داودَ - عليهم صلواتُ اللّهِ وسلامُه - ، فقال اللّه تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أى أنزلناه مفرَّقًا : ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ .

وفى ذلك بيانٌ للحِكْمة فى إنزال القرآنِ مفرَّقًا ؛ ليقوِّىَ اللّه به قلبَ نبيِّه ﷺ فيَعيَهُ ، ويحملَهُ : ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ .

وإذا كانت الكتبُ المُتقدِّمة أُنزلت جملةً واحدة ، فذلك لأنها أنزلت على أنبياء يكتبون ويقرءون ، والقرآن أُنزل على نبىٍّ أُمِّىٍّ ، لا يكتبُ ، ولا يقرأُ المكتُوبَ .

وإنَّ القرآنَ منه ناسخٌ ومنسوخ ، ومُقتَضى الحكمةِ أن ينزلَ الحكمُ المرادُ العملُ به لحاجةٍ طارئة ، أو بصفةٍ مؤقَّتة ، ثم ينزِل الناسخُ له بعد ذلك ، كما فى آيات التجاوُزِ عن إساءات المُشركين فى المرحلة المكِّيَّة ، ثم نُسخت بآيات القتال لردِّ العدوان عن الأنفُس ، والحُرُمات ، بعد ذلك .

ثم من القرآن ما كان يَنزل جوابًا لِمن سأل عن أمور ، مثل سؤال المشركين - بإيعازٍ من يهودَ - عن الرُّوح ، وعن أهل الكهف ، وعن ذى القرنين ، فبيَّن اللَّه أمرَ أهلِ الكهف ، وقصَّةَ ذى القرنين - فى سورة الكهف - وأبْهَمَ أمْرَ الروح على مقتضى حكمته سبحانه وتعالى ، وكان الصحابةُ رضوانُ اللَّه عليهم يسألون رسولَ اللَّه ﷺ عن أمورٍ أو أحكامٍ ، يريدون أن يَعرِفوا حقيقتَها وأمْرَ اللَّهِ فيها ، فكانت الآياتُ تنزل جوابًا وبيانًا ، وفى القرآن الكريم أمثلةٌ كثيرةٌ منها : سأل بعضُ الصحابة رسولَ اللَّه ﷺ : أقريبٌ ربُّنا فَنناجِيه أَمْ بَعِيدٌ فَنُناديه ؟ فنزلتْ : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وكان الأنصارُ قبل أن يُسلموا هم وغسَّان يُهِلُّون - أى يُحْرِمون - لمناةَ الطاغيةِ التى كانوا يعبدونها ، فكان من أحرم وأهلَّ لها منهم ، يتحرَّجُ أن يطوف بين الصَّفا والمروة ، وكان ذلك سُنَّةً فى آبائهم فى الجاهليَّةِ ، مَنْ أحرم للصَّنم مناةَ لم يطُفْ بين الصَّفا والمروة ، وبعد الإسلام سأل الأنصارُ النبىَّ ﷺ عن ذلك ، فأنزل اللَّه تعالى فى ذلك : ﴿۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة : ١٥٨] . [ومضمون هذا الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم جاء فى جواب عائشة رضى اللَّه عنها عن سؤالٍ لعُروة] .

قالت عائشة رضى اللَّه عنها : « ثم قد بيَّن رسولُ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم الطَّوافَ بهما ، فليس لأحدٍ أن يَدَعَ الطواف بهما » أى أنه ركن فى الحجِّ والعمرة .

هذه بعض أمثلةٍ لنزول القرآن جوابًا عن أسئلة النَّاس ، ونحن نجد فى القرآن الكريم آياتٍ كثيرةً تبدأ بلفظ : « يسألونك » مثل :

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة : ٢١٥] .

كما كان القرآنُ الكريم ينزلُ فى الحوادث والأحوال التى تقعُ لبيان العِبرة أو الحُكم فيها ، وفى آيات اللَّه لذلك أمثلةٌ كثيرةٌ ، نشير إلى بعضها على سبيل المثال :

- ما نزل من الآيات فى صدْر سورة الرُّوم مبشِّرًا بنصْر الروم ، وهم أهلُ كتاب على الفُرس ، وهم أهلُ شِرك ، بعد أن غلبَتْهم الفرسُ ، وفَرِحَ لذلك أهلُ الأوثان .
- ما نزل فى بيان فضْل اللَّه على المؤمنين فى غزوة بدرٍ الكُبرى ، وَ بيانِ حُكمِ اللَّهِ فى الغنائم والأسْرى ، وكذلك ما نزل من الآيات فى سائرِ الغزواتِ ، وبيان العِبرةِ فى كلٍّ منها : كالأحزاب ، وحُنين ، وأُحُد وغيرها .
- ما نزل فى قصَّة الإفْك لبيان نَصاعةِ وطُهْرِ وعفافِ وتقْوى وشرفِ وعُلوِّ كعْبِ بيتِ النبوَّةِ وأهلِه . [فى سورة النور] .
- ما نزل فى النَّهى عن صلاة الجنازةِ على المنافقين ، الذين عَرَفَهم النبىُّ ﷺ بأعيانهم بوساطة الوحْى ، وذلك بعد الصلاةِ على عبد اللَّه بنِ أُبىِّ بن سَلول رأسِ المنافقين .

• ما نزل فى مسجد الضِّرارِ ونهْى الرسول ﷺ عن الصلاة فيه ، لأن النيَّةَ من ورائه خبيثةٌ - والأعمال بالنيَّات والمقاصد - [فى سورة التوبة] . . والحوادث والأحوال كثيرة . .

• **نزول الأحكام بالتَّدريج :**

وقد اقتضت حكمةُ اللَّه عزَّ وجلَّ أن يكون التشريعُ فى ذاك الزمانِ بالتَّدريج حتى تُطِيقَه النفوسُ ، وتُعَدَّ القلوبُ لتقبُّلِه ، خصوصًا أن الناس عند بدْءِ الوحْى كانوا فى جاهليَّة ، وقد استولت على نفوسهم وهيمنتْ على عقولهم ، ومسالكهم عقائدُ وأفكارٌ ونظمٌ للحياة وعوائدُ ليس من السَّهل انتزاعُهم من شِراكها مرةً واحدة ، أو تنقيتُهم من أدرانِها فى يومٍ وليلة .

ولهذا رأينا العباداتِ شُرِعت على مراحل ، ولم تنزل الفرائضُ والأوامرُ والنَّواهى جملةً واحدة .

كما أن الخمرَ على قُبْحها وضرَاوتها ، لم يتمَّ تحريمُها على العباد مرةً واحدة ، بل تَمَّ التحريمُ بالتَّدريج ، لأنَّها كانت فى الجاهليَّة عادةً مألوفةً .

كما أن تحريمَ الرِّبا جاء متأخِّرًا ، ولعل من الحكمة فى ذلك أن تكون النُّفوسُ قد تشرَّبتْ تعاليمَ الدِّين وحبَّه ، وازداد تعلُّقُها بالنَّعيم الأخرويِّ ، وصارت مستعدَّةً للتخلِّى عن حبِّ المالِ ، ما دام فى ذلك ما يُرضى الربَّ سبحانه وتعالى .

ولنتدبَّر قولَ اللَّه تعالى : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ . أى لو أنزلنا عليك القرآنَ جملةً واحدةً ، ثم سألوك لم يكن عندك ما تُجيب به ، ولكن نُمسك عليك ، فإذا سألوك أَجَبْتَ .

قال النَّحاس : « وكان ذلك من علاماتِ النبوَّة ، لأنهم لا يسألون عن

شىء إلَّا أُجيبوا عنه ، وهذا لا يكون إلَّا من نبىٍّ ، فكان ذلك تثبيتًا لفؤاده ولأفئدتهم ، ولو نزل القرآنُ جملةً بما فيه من الفرائض لثَقُلَ عليهم ، واللَّهُ علِم أن الصلاحَ فى إنزالِه مُتفرِّقًا ، لأنهم يُنَبَّهُون به مرَّةً بعد مرَّة ، ولو نزل جُملةً واحدةً لزال معنى التَّنبيه ، وفيه ناسخٌ ومنسوخٌ ، فكانوا يتعبَّدون بالشىء إلى وقْتٍ بعينه قد علم اللَّه عزَّ وجلَّ فيه الصَّلاحَ ، ثم يَنْزل النسْخُ بعد ذلك ، فمُحالٌ أن ينزلَ جملةً واحدة : افْعلوا كذا ، ولا تفعلوا » .

إن حكمةَ اللَّه عزَّ وجلَّ اقتضت أن يكون نزولُ القرآنِ نجومًا بحسب الأحوال ، والأسئلة ، والوقائع ، والحوادث ، ولتيسير حِفْظه ، وتهيئَةِ النفوس لتقبُّل التغيير ، وللخروج من مضايقِ الجاهليَّةِ إلى سَعَةِ فضْل اللَّه ورحمته بعباده : وذلك بالأحكام العادلة ، والعبادات ، وبالفضائل السَّامية الثابتة ، وقواعد المعاملاتِ ، وغير ذلك ، وهو سبحانه العليم الخبير .

قال ابن عباس رضى اللَّه عنهما : أُنْزِلَ القرآنُ جملةً واحدةً إلى سماءِ الدُّنيا فى ليلة القدْر ، ثم نَزَل بعد ذلك فى عشرين سنةً ، ثم قرأ : ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء : ١٠٦] .

[قال ابن كثير : هذا إسناد صحيح] .

* * * *

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

[سورة النحل : ١٠١ - ١٠٣]

* * * *

معنى الناسخ والمنسوخ

قال الله تعالى : ﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

النَّسخ فى كلام العرب على وجهين :

أحدُهما : النقلُ ، كنقل كتابٍ مِن آخرَ ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية : ٢٩] . أى نأمرُ بنسخه وإثباتِه .

الثانى : الإبطالُ والإزالةُ ، وهو المقصودُ فى الآية .

وذلك ينقسم فى اللُّغة على ضربين :

أحدهما : إبطالُ الشىء وزوالُه ، وإقامةُ آخرَ مَقامه ، ومنه قولنا : نسختِ الشمسُ الظِّلَّ ، إذا أذْهبته وحلَّت مكانه ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ . كالآية تنزلُ بأمرٍ ، ثم يُنْسَخ هذا الأمرُ بآيةٍ أخرى .

الثانى : إزالةُ الشىءِ دون أن يقومَ آخرُ مقامه ، كقولنا : نسختِ الريحُ الأثرَ ، ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الحج : ٥٢] . أى يُزيله فلا يُتلى ولا يُثْبت فى المصحف بدلُه . والمعنى الشرعىُّ مأخوذ من هذا المعنى اللُّغوى ، فهو : « **إزالةُ ما قد استقرَّ من الحُكم الشرعىِّ بخطابٍ ورد متراخيًا** » ، هكذا حدَّهُ القاضى عبدُ الوهاب وغيرُه .

وقد أجمع السلفُ من الصَّحابة والتَّابعين على وقوع النَّسخ فى الشريعة .

ونَسْخُ الحُكم إنَّما يتمُّ لضربٍ من المصلحة ؛ إظهارًا لحِكمةِ اللَّه تعالى

وكمالِ مملكتِه ، ولا خلافَ بين العقلاء أن شرائعَ الأنبياءِ قُصِد بها مصالحُ الخلقِ الدينيَّةُ والدُّنيويَّةُ .

فالنَّسخُ : وهو تحويلُ العبادِ من شيء إلى شيء قد كان حلالًا فيُحرَّم ، أو كان حرامًا فيُحلَّل ، إنما يكون لأن اللَّه عزَّ وجلَّ أعلمُ بعباده ، وبما يُصلحهم ، فقد كان المسلمون - مثلًا - فى مكةَ يواجهون أذى الكفَّارِ ، وأمر اللَّهُ المؤمنين بالصَّبْر والتَّجاوُزِ وبالإعراض عن المشركين ، ولم يأمرهم بردِّ العُدوان بمثله ، وكان ذلك لحكمة ، ثم أمرهم اللَّهُ بعد ذلك بالقتال ، وأذِن لهم فى قِتَال من يُقاتلهم - وهذا الأمرُ يشبه موقفَ الطبيب المُراعى أحوالَ العليل - فاللَّه عزَّ وجلَّ راعَى ذلك فى خليقتِه بمشيئته وإرادته ، لآ إلهَ إلَّا هو ، فخطابُه عزَّ وجلَّ يتبدَّل - إذا أراد - وإرادتُه سبحانه لا تتغيَّر ، فإن ذلك مُحالٌ فى جِهة اللَّه تعالى .

والنَّسْخُ إنمَّا يتمُّ فى مدَّةِ النبىِّ ﷺ ، وأمَّا بعد مدَّته ، وقد استقرَّت الشريعةُ فقد أجمعتِ الأمةُ على أنه لا نَسْخَ .

والمنسوخ فى كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ
على ثلاثة أضرُب على النحو التالى :

* فمنه ما نُسِخَتْ تلاوتُه وحكمُه معًا .

ومن ذلك ما رُوِى عن ابن مسعود رضى اللَّه عنه أنه قال : أقرأَنى رسولُ اللَّه ﷺ آيةً فحفظتُها وكتبتُها فى مُصحفى ، فلمَّا كان اللَّيلُ رجعتُ إلى مَضْجعى فلم أرجعْ منها بشىء ، وغدوتُ على مُصحفى فإذا الورقةُ بيضاءُ ، فأخبرتُ النبىَّ ﷺ فقال لى : « ياابنَ مسعود ، تلك رُفعت البارحة » فهذا مِمَّا نُسِخَ خطُّه وحكْمُه .

* ومنه ما نُسِخت تلاوتُه ، وَبقى حكمُهُ كآيةِ الرَّجم ، فقد رُوى عن عمرَ بن الخطَّاب رضى اللَّه عنه أنه قال : « لولا أكرهُ أن يقولَ النَّاس قد زاد فى القرآن ما ليس فيه لكتبتُ آيةَ الرَّجمِ وأثبتُّها ، فَوَاللَّه لقد قرأناها على رسول اللَّه ﷺ : « **لا ترغَبُوا عن آبائِكم ، فإنَّ ذلك كُفرٌ بكم ، الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زَنيا فارجمُوهما ألبتَّة نكالًا من اللَّه واللَّهُ عزيز حكيم** » . **فهذا منسوخُ الخَطِّ ثابتُ الحُكم .**

* ومنه ما نُسِخ حُكْمُهُ ، وَبقيتْ تلاوتُه مثل : الصَّفح عن المشركين المعاندين والإعراض عن الجاهلين السُّفهاء المعتدين ، نُسِخ ذلك بمشروعيَّة القتال لردِّ العُدوان ، ولتحقيق الأمن للنَّاس والعدل ، ومع ذلك بقى خطُّه .

قال تعالى : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف] وقد تضمَّنت هذه الآيةُ الكريمةُ أسْمَى مكارم الأخلاقِ ، وبَقِىَ لنا أن نتحلَّى بهذه الخصال الشَّريفة ، فى علاقة الإنسانِ بأخيه الإنسانِ مع قبولِ العُذْرِ من الآخرِين ، وعدمِ مقابلةِ السيِّئةِ بمثلها ، وذلك فيما ليس فيه عُدوانٌ على النُّفوس ولا على الأوطان ، وانتهاكٌ للحُرُمات .

ومثل : صدقة النَّجْوى فى قوله تعالى من سورة المجادلة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةًۚ﴾ [الآية : ١٢] .

وناسخُها جاء بعدها فى قوله تعالى : ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ [الآية : ١٣] .

وقوله تعالى : ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ . أى بِمُحْكَمةٍ مكانَ مَنْسوخةٍ .

واللَّهُ عزَّ وجلَّ أعلمُ بعباده ، وبما ينفعُهم ، ويُصْلِحُ أحوالَهم ويُهيِّئُ نفوسَهم للفوز والنَّجاةِ ، يَوم لا ينفع مالٌ ولا بنون .

* * * *

المكّىّ والمدنىّ
من سُور القرآنِ الكريم وآياته

أقام النبىُّ ﷺ بمكَّةَ بعد النبوَّةِ نحو ثلاثَ عشرةَ سنةً ، أمَّا إقامتُه بالمدينة المنوَّرة فقد كانت عشرَ سنين ، وقد أوحى اللَّه إليه وهو ابنُ أربعين سنةً ، وتُوفِّى ﷺ وهو ابن ثلاثٍ وستِّين سنةً .

وما نزل من القرآن قبلَ هجرةِ النَّبىِّ ﷺ إلى المدينة يُسَمَّى « مكِّيًّا » ، وما نزل بعد الهجرة النبويَّة يُسمَّى « مدنيًّا » سواء كان نزول الآية أو السُّورة بالمدينة أو بغيرها ، من أىِّ البلادِ أو النَّواحى كان ، حتى ولو كان بمكَّةَ أو عرفة .

وأهلُ العلم أجمعوا على سُوَرٍ أنها من المكِّى ، وأُخَر أنها من المدنىِّ واختلفوا فى أُخَر .

تفسيرٌ لأقوالهم :

* وقال بعضُ أهل العلم :

كلُّ سورةٍ فى أوَّلها شىءٌ من الحروف المُقطَّعة فهى من المكِّى ، ما عدا البقرةَ وآلَ عمران ، كما أن كلَّ سورة فيها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهى مدنيَّةٌ ، أمَّا ما فيه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فيُحْتمل أن يكونَ من هذا ، ومن هذا ، والغالبُ أنه مكِّىٌّ ، وقد يكون مدنيًّا كما فى سورة البقرة ، كقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة : ٢١] . و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة : ١٦٨] .

* وقال بعضُهم : كلُّ شىء فى القرآن : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ، فهو

مدنىٌّ ، وما كان منها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ، و﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ فإنه مكِّىٌّ .

* ومن العلماء من يستثنى من المكِّىّ آياتٍ ، يقول : إنها من المدنىّ كما فى سورة الحجِّ . وغيرها .

[قال هبة اللّه بن سلامة : وسورة الحج من أعاجيب سور القرآن ؛ لأن فيها ليليًّا ، ونهاريًّا ، ومكِّيًّا ، ومدنيًّا ، وسفريًّا ، وحضريًّا ، وحَرْبيًّا وسِلميًّا ، وناسخًا ومنسوخًا] .

يقول ابن كثير : والحقُّ فى ذلك ، ما دلَّ عليه الدَّليل الصحيح - فاللّه أعلم - .

السُّور المكِّيَّة :

والسُّورُ المكِّيَّة : تلفِتُ الناسَ إلى خلْق الإنسانِ ، وتكوينه ، وحياتِه ، وموته ، ونومه ، ويقظتِه ، كما تلفتُه إلى الكون المُحيطِ به ، وما فيه من جمالٍ وجلالٍ ، وتناسُقٍ وإبداع وانتظام ، مِمَّا يدلُّ على وجود الخالقِ ووحدانيتِه وكمالِ قدرتِه ، ومغايرتِه للمخلوقين ، واتِّصافِه بصفات الكمالِ والجلال ، لا تُدركه الأبصارُ ، وهو يُدركُ الأبصار : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى : ١١] .

كما بَيَّنت زيفَ الآلهةِ التى اتَّخذوها من دون اللّه ، وكشفتْ للعقل البشرىِّ عن الغاية من وجود الإنسان ، ومكانِه من هذا الكون المسخَّرِ له ، وقدَّمت السورُ والآياتُ المكِّيَّةُ له الأدلَّةَ على فساد معتقداتِ مُنكرى وجود اللّه ، ومُنكرى البعثِ والجزاءِ ، ومتَّخذى آلهةٍ من دون اللّه عزَّ وجلَّ ، وقصَّت على الناس قصصَ الماضين ، وما لهم فيها من عِبَرٍ وعظاتٍ ، ليسلكوا طريقَ النَّاجين ، وينأَوْا بأنفسهم عن طريق الهالكين .

ففى هذه المرحلةِ كان الاتِّجاهُ إلى بيان التَّوحيد النَّقىِّ الخالصِ من كلِّ

شائبة من شوائبِ الشِّرك ، وبيانِ حقوقِ اللَّه على عباده وبيان واجباتهم نحوَ ربِّهم ، واتَّجهت هذه الآياتُ المكِّيَّةُ إلى تخليصِ العبادِ من أدرانِ الجاهليَّةِ ، وأوهامِها ، وأباطيلها ، وتحريرِ عقولهم من التقليد الأعمى ومن الجمود على ما كان عليه الآباءُ والأجدادُ ، ولو كانوا على ضلالٍ ، وكذلك إلى تهيئةِ النفوسِ لبناء دولةِ التَّوحيد ، على نظام ربَّانيٍّ يدفعُ بالإنسان فى مَراقى الكمالِ الإنسانيِّ ، من ناحيتَيْه الماديَّةِ والمعنويَّةِ ، الجسديَّةِ والروحيَّة .

السور المدنيَّة :

لهذا نجدُ الآياتِ المدنيَّةَ تُوجِّه إلى بناء المجتمع على أُسُسٍ عاليةٍ ، وتبيِّن علاقةَ الفردِ بالجماعةِ ، وعلاقةَ الحاكم بالمحكومين ، وتُقرِّرُ قواعدَ المعاملاتِ وعلاقةَ الدَّولة بغيرها ، وتُبيِّن حالاتِ السِّلم ، وحالاتِ الحرب ، وتبيِّن الحقوقَ والواجباتِ ، والحدودَ ونظامَ الأسرةِ وغير ذلك ، حتى أتمَّ اللَّه نعمتَه بإكمال دينه ، وصار الحلالُ بيِّنًا ، والحرامُ بيِّنًا ، والطريقُ واضحًا ، والمنهجُ مضيئًا ، وتَركَنا رسولُ اللَّه ﷺ على المَحَجَّةِ البيضاءِ ، ليلُها كنهارها ، لا يَزيغ عنها إلَّا هالكٌ ، فالحمد للَّه على نِعْمةِ الإسلام .

عن عليِّ بن أبى طلحة قال : نزلت بالمدينة :

« سورة البقرة ، وآل عمران ، والنِّساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة والحجُّ ، والنُّور ، والأحزاب ، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أى « سورة محمد » ، والفتح والحديد ، والمجادلَة ، والحشر ، والممتحنة ، والحواريُّون « الصفُّ » والتغابن ، و : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ «الطلاق» ، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ « أى التحريم » ، والفجر ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝﴾ « الغاشية » و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝﴾ « سورة القدر » ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ « البيِّنة » و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾

« الزلزلة » و﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ «النَّصر » [أى خمس وعشرون سورة][١] .

وأمّا الأنعام ، الأعراف ، يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحِجر والنَّحل ، الإسراء ، الكهف ، مريم ، طه ، الأنبياء ، المؤمنون ، الفُرقان ، والشعراء ، النَّمل ، القصص ، العنكبوت ، الرُّوم ، لُقمان ، السَّجدة ، سبأ ، وفاطر ، يس ، الصَّافات ، ص ، الزُّمَر ، المؤمن « غافر » وسائر الحواميم وق ، الذَّاريات ، الطور ، النَّجم ، القمر ، الرحمن ، الواقعة ، سُور جزء تبارك ما عدا الدَّهر ، وكذا سُور جزء عَمَّ ما عدا المشار إليها فى السُّور المدنيَّة ، وسَائر القرآن فنزلت بمَكَّة[٢] .

يقول ابنُ كثير : وهذا إسنادٌ صحيح عن ابن أبى طلحةَ مشهور ، وهو أحد أصحابِ ابن عباسٍ الذين رَوَوْا عنه التفسير .

واستدرك ابنُ كثير على ابن أبى طلحة قائلًا : وقد ذَكر فى المدنىِّ سورًا فى كونها مدنيَّة نظر ، وما به الحجرات والمعوذات .

* * * *

(١) وعدَّها أبو الحسن بن حصَّار فى كتابه النَّاسخ والمنسوخ عشرين سورة ، وقال : المدنىُّ بالاتِّفاق عشرون سورة ، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة ، وما عدا المدنىَّ فهو مكِّىٌّ بالاتِّفاق [عن كتاب تاريخ القرآن لأبى عبد اللّه الزَّنجانى السورى « القرن العشرون »] .
فلم يذكر فى المدنى الحج ، والصف ، والتغابن ، والبينة ، والقَدر .

(٢) ولم يذكر علىُّ بن أبى طلحة ما اختُلف فيه أمدنىٌّ أم مكىٌّ ؟
ومن ذلك سورة الرعد وهى إلى تنزيل المدينة أشبه ، وسورة الدهر ، وهى إلى تنزيل المدينة أشبه « وقال هبة اللّه بن سلامة : وهى إحدى السور السبع عشرة المختلف فى تنزيلها » .
والمعوذتان نزلتا بالمدينة وقيل نزلتا بمكة – واللّه أعلم – ولم يرد فى كلام ابن أبى طلحة ذِكْرُ « الحجرات والجمعة والمنافقون » . وهى من السور المدنية – وقد ذكرها أبو الحسن بن حصَّار فى كتابه واللّه أعلم .

كُتَّاب الوحْى

كُتَّاب الوحْى منهم مَن كان فى مكَّة من أوَّل البعثةِ إلى الهجرة ، ومنهم من كان فى المدينة بعد الهجرة .

أمَّا مَن كانوا فى مكَّة فهم : عبدُ اللَّه بن أبى السَّرح ، وأبو بكر الصِّدِّيق ، وعثمانُ بنُ عفَّان ، وعمرُ بن الخطاب ، وعلىُّ بنُ أبى طالب ، والزُّبير بن العوَّام ، وخالدُ وأَبانُ ابنا سعيد بن العاص ، وحَنظلةُ بنُ ربيع الأسَدىُّ ، ومُعَيْصِبُ بنُ أبى فاطمةَ ، وعبد اللَّه الأرقم الزُّهرىُّ ، وشَرحبيل بنُ حَسَنة .

وفى المدينة :

ولمَّا هاجر ﷺ إلى المدينة كان من كتَّاب الوحى أيضًا : زيد بنُ ثابت بن الضَّحاك بن زيد ، وأُبىُّ بنُ كعب بن قيس بن امرئ القيس (وهما أنصاريَّان) وأبَانُ بنُ سعيد بنِ العاص (مهاجر) ، ومعاوية بنُ أبى سُفيان ، وخالد بنُ الوليد ، وعبد اللَّه بن رَواحة ، وثابتُ بن قيس ، رضى اللَّه عنهم أجمعين[١] .

* * * *

---

(١) وزيادة فائدة :

وجاء فى كتاب « تاريخ القرآن لأبى عبد اللَّه الزِّنجانى السُّورى (القرن العشرون) » : أن كُتَّابَ الوحْى « ثلاثةٌ وأربعون » أشهرهم : الخلفاء الأربعة ، وأبو سفيان بن حرب الأموى وابناه (معاوية ويزيد) وسعيد بن العاص ، وابناه (أبان وخالد) وزيد بن ثابت ، والزبير بن العوَّام ، وطلحة بن عبيد اللَّه ، وسعد بن أبى وقَّاص ، وعامر بن فُهيرة ، وعبد اللَّه بن الأرقم ، وعبد اللَّه ابن رواحة ، وعبد اللَّه بن سعد بن أبى السَّرح ، وأبىُّ بن كعب ، وثابت بنُ قيس ، وحنظلة بن الرَّبيع ، وشَرحْبيل بنُ حَسَنة ، والعلاء بن الحضرمىّ ، وخالد بنُ الوليد ، وعمرو ابن العاص ، والمغيرة بن شُعبة ، ومُعيقيب بن أبى فاطمةَ الدَّوسىُّ ، وحُذيفة بن اليمان ، وحويطب بن عبد العُزَّى العامرىُّ رضى اللَّه عنهم أجمعين .

تَرتيبُ القرآنِ الكريم وجَمْعُه

الكتابُ الكريم الذى أوحاه اللَّه إلى خاتَم أنبيائِه محمدٍ ﷺ هُدًى ونورًا للعالمين ، نزل مُتفرِّقًا على حسب الحوادث ، ثم جُمِع فكان ذلك الكتابَ الإلهىّ الذى جعله اللَّه آيةً خالدةً يَهتدى بنوره العالمون ، ويَعْشُو إلى ضوئه التَّائهون ، وقد وعد اللَّه عزَّ وجلَّ بحفظه ، فلا ينالُه المحرِّفون المبدِّلون ، فقال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر : ٩] .

فى حياة النبىِّ ﷺ :

بدأ نزولُ القرآنِ الكريم على رسول اللَّه ﷺ وهو فى مكَّة ، وكان أول ما نزل منه فى غار حراء : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق : ١] .

ثم توالَى نزولُه على حسب الحوادثِ ، حتى تَمَّ فى نحو ثلاثٍ وعشرين سنةً .

وكان رسولُ اللَّه ﷺ جعل له كُتَّابًا يكتبونه ، منهم الخلفاءُ الأربعةُ ، والزبيرُ بنُ العوَّام ، وخالدُ وأبانُ ابنا سعيدِ بنِ العاص ، والعلاءُ بنُ الحضرمىِّ ، وأُبىُّ بن كعب ، وغيرهم .

وكان جبريل يُعلِّم رسولَ اللَّه أن يضعَ كذا فى موضع كذا على التَّرتيب الذى عليه القرآنُ الكريمُ منذ صدْر الإسلام حتى الآن .

وكان القرآنُ فى مدَّة النبىِّ ﷺ مُتفرِّقًا فى صُدور الرِّجال ، وقد كَتب النَّاسُ منه فى صُحف ، وفى جريدٍ ، وفى لخاف(١) وظُرَر(٢) ، وفى خزف وغير ذلك .

---

(١) اللِّخاف : جمع لخفة وهو حجَر أبيض عريض رقيق .

(٢) الظَّرُّ : حجر له حدٌّ كحدِّ السكِّين ، والجمعُ ظُرر وظِرار مثل رُطب ورطاب .

فى زمن أبى بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه :

فى سنة اثنتَىْ عشرةَ للهجرة دارتْ رحَى حربٍ فى اليمامة ، بين جيش المسلمين الذى أوفده الخليفةُ أبو بكر بقيادة خالد بن الوليد وأهلِ الرِّدَّة من أتباع مُسَيْلَمَةَ الحنفيِّ الكذَّاب ، وكانت المعركةُ قاسيةً ، أَبْلَى فيها المسلمون بلاءً حسنًا ، واستُشْهِدَ من الصحابة كثيرون ، وكثُرَ القتْلُ فى قُرَّاء القرآن ؛ لأنهم كانوا فى مُقدِّمة المقاتلين ، لإخماد نار الفتنة التى أثارها مُسَيْلَمَةُ بعد موتِ رسولِ اللَّه ﷺ .

عمر يطلب جَمْعَ القرآن :

ذهب عمرُ بنُ الخطَّاب إلى الخليفة أبى بكر رضي الله عنهما وقال له : « إنَّ القتلَ قد استَحرَّ[1] يومَ اليمامة بقُرَّاء القرآنِ ، وإنى أخشَى أن يستحرَّ القتلُ بالقُرَّاء فى كل المواطن ، فيذهبَ من القرآن كثير ، وإنى أرى أن يُجْمَع القرآنُ » .

وهكذا أشار عمرُ على أبى بكر بجمع القرآنِ مخافةَ أن يموتَ أشياخُ القرَّاءِ كأُبيِّ بنِ كعبٍ ، وابنِ مسعود ، وزيدِ بنِ ثابت وغيرهم .

فقال له أبو بكر : « كيف أفعلُ شيئًا لم يفعلْه رسولُ اللَّه ﷺ ؟ فقال عمر : هو واللَّه خيرٌ » .

يقول أبو بكر : « فلم يزل يُراجعنى فى ذلك ، حتى شرح اللَّهُ صدْرى للَّذى شَرح له صَدْرَ عُمر ، ورأيتُ فى ذلك الذى رأى عمرُ » . فأرسل أبو بكر لزيد بن ثابت رضي الله عنهما ، وعَهِد إليه بهذا الأمر وقال له : إنك رجل شابٌّ عاقل ،

(١) استحرَّ : اشتدَّ .

لا نتَّهمك ، قد كنت تكتب لرسول اللّه ﷺ فتتبَّعْ القرآنَ فاجمعْه[١] .

قال زيد : فَوَاللّهِ لو كلَّفنى نقْلَ جبلٍ من الجبال ما كان أثقلَ علىَّ مِمَّا أمرنى به من جَمْع القرآن .

يقول زيد : « فتتبَّعتُ القرآنَ أجمعُه من الرِّقاع والعُسْبِ[٢] واللِّخَاف ومن صدورِ الرجال ، حتى وجدتُ آخرَ سورةِ التوبة مع خُزيمة - أو أبى خزيمة الأنصارىِّ - لم أجدها مع أحد غيره[٣] ، أى خاتمة براءة ، وهى قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ .

وبذَل زيدٌ جهدَه فى الجمع حتى اجتمع القرآنُ كلُّه فى مصحف واحدٍ ، حَفظه أبو بكر رضي الله عنه عنده حتى توفَّاه اللّه ، ثم كان عند عمر رضي الله عنه مُعظَّمًا مُكرَّمًا حتى توفَّاه اللّه ، ثم صار عند حفصةَ ابنتِه أُمِّ المؤمنين رضى اللّه عنها ؛ لأنها كانت وصيتَهُ من أولاده على أوقافه وتَركَتِه ، وظلَّت هذه الصُّحفُ عندها حتى أخذها أميرُ المؤمنين عثمانُ رضي الله عنه .

---

(١) الذى رشَّح زيدًا لهذا العمل الجليل أربعُ صفات مقتضيةٌ لخصوصيَّته بذلك .
- كونه شابًا فيكون أنشط لِما يُطلب منه . - وكونه عاقلًا فيكون أوعى له .
- وكونه لا يُتَّهم فتطمئن النفس إليه . - وكونه كان يكتب الوحى فيكون أكثر ممارسةً له ، وهذه الصفات التى اجتمعت له قد تُوجد فى غيره لكن متفرِّقة .

(٢) العسب : جمع عسيب وهو سعف النخل .

(٣) معنى قول زيد : « لم أجدها عند أحد غيره » أى أنه لم يجدها مكتوبةً عند أحد إلَّا خُزيمة ، فالذى انفرد به خزيمة هو كتابتها لا حفظها ، فقد كان جمعٌ كبير من الصحابة يحفظون خاتمةَ سورة التوبة فى صدورهم .

وهذا من أحسن وأجلّ وأعظم ما فعله الصدِّيق ﷺ، فإنه أقامه اللَّه تعالى بعد النبيِّ ﷺ مقامًا لا ينبغى لأحد من بعده : قاتَل الأعداءَ من مانعى الزكاة ، والمُرتدِّين ، والفرس والروم ، وأنفذ الجيوش ، وبعث البعوثَ والسَّرايا ، وردَّ الأمرَ إلى نصابه بعد الخوفِ من تَفرُّقه وذهَابه ، وجُمع فى عهده ﷺ القرآنُ العظيمُ من أماكنه المتفرِّقةِ حتى تمكَّن القارئُ من حفْظِه كلِّه ، وكان هذا من سِرِّ قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝﴾ .

فجَمَعَ الصدِّيقُ الخيرَ ، وكفَّ الشُّرور ، ﷺ وأرضاه ، يقول علىُّ بنُ أبى طالب ﷺ : « أعظمُ النَّاس أجرًا فى المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أولَ من جَمَع القرآنَ بين اللَّوحَين » - هذا إسناد صحيح .

فى زمن عثمان بن عفان ﷺ :

أدَّتْ الفتوحاتُ الإسلاميةُ إلى انتشار المسلمين فى الآفاق ، وكان حذيفةُ ابنُ اليمان مِمَّن شهدوا فتحَ أرمينيَّةَ وأذربيجانَ ببلاد فارس ، وكان فى الغزوة ناسٌ من العراق ، والشام ، ومن الحجاز ، ووجدهم حذيفةُ يختلفون فى القراءة على حسب اختلافِ لُغاتِهم مثل كلمة : التَّابُوت ، كان يقرؤها بعضُهم بالتاء ، وبعضهم بالهاء .

فلمَّا قدِم حذيفةُ المدينة دخل إلى عثمانَ ﷺ قبل أن يدخلَ إلى بيته ، فقال لعثمان : « يا أميرَ المؤمنين ، أَدْرِكْ هذه الأمةَ قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلافَ اليهودِ والنَّصارى » .

فأرْسَل عثمانُ إلى حفصةَ : « أن أرسِلى إلينا بالصُّحف نَنسخُها فى المصاحف ثم نَردُّها إليكِ » ، فأرسلتْ إليه بها ، فأمر عثمانُ زيدَ بنَ ثابتٍ ، وعبدَ اللَّه بنَ الزبير ، وسعيدَ بنَ العاص ، وعبدَ الرحمن بن الحارث بن

هشام ، فنسخوها فى المصاحف .

وقال عثمان للرهط القرشيِّين : إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بنُ ثابت فى شيء من القرآن[١] فاكتبوه بلسانِ قريش ، فإنما نَزَل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصُّحفَ فى المصاحف ردَّ عثمانُ الصحفَ إلى حفصة ، وأرسل إلى كل مصرٍ (جهةٍ) بمصحف مِمَّا نسخوا ، وأمر الناسَ بأن ينسخوا مصاحِفَهم منها ، وأمر بإحراق كلِّ ما خالفها ، وكان ذلك سنةَ ثلاثين من الهجرة ، وإن المصاحفَ التى أُرسِلتْ إلى الآفاق قيل : كانت خمسة ، وقيل : أربعة ، وقال أبو حامد السِّجستانىُّ : « كتب عثمانُ سبعةَ مصاحفَ » .

ترتيب سور القرآن :

قال قوم من أهل العلم : إن تأليفَ سورِ القرآن على ما هو عليه فى مصحفنا كان عن توقيفٍ من النبىِّ ﷺ ، وروى يونسُ عن ابن وهبٍ قال : « سمعتُ مالكًا رضي الله عنه يقول : إنما أُلِّف القرآن - أى رُتِّبَتْ سورُه - على ما كانوا يسمعونه من رسول اللَّه ﷺ » .

وذكر أبو بكر الأنبارىُّ : أن رسول اللَّه ﷺ أخذ عن جبريلَ عليه السلام هذا التَّرتيب ، وهو كان يقول : « ضَعُوا هذه السورةَ موضعَ كذا وكذا من القرآن » . وكان جبريلُ عليه السلام يَقِفُه على مكان الآياتِ ، أى يُحدِّد له مكانَ كلِّ آيةٍ من سورتها .

(١) وللبخارى من رواية شعيب بن أبى حمزة لفظ : « فى عربيَّة من عربية القرآن » والمراد إذا اختلفتم فى رسم كتابته ، فاكتبوه بالرسم الذى يوافق لغة قريش ولهجتها ، فإنه نزل بها ؛ لأنها لغةُ رسول اللَّه ﷺ ، وهى أفصح لغات العرب ، وإنما أقرأ جبريلُ النبىَّ ﷺ بغيرها من لغات العرب ولهجاتهم رُخصةً ليسهل عليهم ترتيلُه بغير تكلُّفٍ يشغل القارئ عن تدبره .

وقال القاضى أبو بكر الطيِّب : يُحتمَلُ أن يكونَ ترتيبُ السُّور على ما هى عليه اليوم فى المصحف ، كان على وجه الاجتهادِ من الصحابة ، وإلى هذا القولِ يَميلُ بعضُ أهلِ العلم . [واللّه أعلم] .

* * * *

● إنه أعظمُ لقاءٍ فى تاريخ بنى الإنسان :

أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء : ١٩٢، ١٩٣]

فالحمد للّه على أعظم نِعَمِه .

* أشرفُ موقف

* وأزكى لقاء

* وأعَزُّ اللَّحظات وأعلاها قدْرًا

* تلك اللَّحظةُ التى شرُفت بها الدُّنيا

* حين التقى نورُ الوحى بنور قلب خاتم المرسلين ﷺ .

● يا أهل القرآن :

اجعلوا القرآن شفيعًا واحذروا سؤال الناس به :

قال عِمْرانُ بنُ حُصين رضى اللّه عنهما : سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول : « مَن قرأ القرآنَ فليسألِ اللّهَ به ، فإنه سيجىء أقوامٌ يقرءُون القرآن يسألون به النَّاس »

[أخرجه التِّرْمُذىُّ ، وقال : حديث حسن]

يا قارئ القرآن : أخْلِصِ النِّيَّة للّه ، واجعلْه شفيعًا لك عند اللّه فيما ترجوه من الرَّحمة والمغفرة .

تفسيرُ القرآنِ الكريم بالرأى

عن جُنْدبِ بنِ عبد اللَّه ﷺ عنه قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « مَنْ قال فى كتابِ اللَّه عزَّ وجلَّ برأيه فأصابَ ، فقد أخطأ » . [أخرجه التِّرْمِذىُّ وأبو داود] .

(١) قال ابنُ الأثير الجزرىُّ :

« مَنْ قال فى كتابِ اللَّهِ بِرَأْيه » : إنَّ النَهْىَ عن تفسير القرآنِ بالرأى لا يخلو : إمَّا أن يكونَ المُرادُ به الاقتصارَ على النَّقْلِ والمسموعِ وتَرْكَ الاستنباطِ ، أو أنَّ المرادَ به : أمرٌ آخَرُ .

وباطِلٌ أن يكونَ المرادُ به : أن لَّا يتكلَّمَ أحدٌ فى القرآن إلَّا بما سمِعَهُ ؛ فإنَّ الصحابةَ ﷺ قد فسَّروا القرآنَ ، واختَلفُوا فى تفسيرِه على وجُوه ، وليس كلُّ ما قالوه سمِعُوه من النبىِّ ﷺ ، وإنَّ النبىَّ دعا لابنِ عبَّاس رضى اللَّه عنهما فقال : « اللَّهمَّ فَقِّهْه فى الدِّينِ وعَلِّمْه التأويل » .

فإن كان التأويلُ مسموعًا كالتَّنزيل ، فما فائدةُ تخصيصه بذلك ؟

وإنما النَّهْىُ يُحْمَلُ على وجهين :

أحدهما : أن يكونَ له فى الشىء رأىٌ ، وإليه ميلٌ من طبْعِه وهواه ؛ فيتأوَّلَ القرآنَ على وَفْقِ رأيه وهواه ، ليحتجَّ على تصحيح غرضِه ، ولو لم يكنْ له ذلك الرأىُ والهَوى ، لكان لا يلوحُ له من القرآنِ ذلك المعنى .

وهذا النَّوعُ يكون تارةً مع العِلْم ، كالَّذِى يحتجُّ ببعض آياتِ القرآنِ على تصحيح بِدْعَتِهِ ، وهو يعلمُ أن ليس المرادُ بالآية ذلك ، ولكن يُلَبِّس على خَصْمه .

وتارةً يكون مع الجهلِ ، وذلك إذا كانت الآيةُ مُحْتَمِلَةً ، فيميلُ فهمُه إلى

الوجْهِ الذى يوافقُ غرضَه ، ويترجَّحُ ذلك الجانبُ برَأْيه وهواه ، فيكون قد فسَّر برأيه ، أى : أنَّ رأيَه هو الذى حَمَله على ذلك التفسير ، ولولا رأيُه لَمَا كان يترجَّح عنده ذلك الوجهُ .

وتارةً يكون له [أى : للَّذى يتصدَّى للتَّفسير] غرضٌ صحيح ، فيطلب دليلًا من القرآن ، ويستدلُّ عليه بما يعلمُ أنه ما أُريدَ به[١] ، كمن يدعو إلى مجاهدةِ القلبِ القاسى فيقول : قال اللَّهُ تعالى : ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النازعات : ١٧] . ويُشير إلى قلبه ويومئُ إلى أنه المرادُ بفرعون .

وهذا الجنسُ[٢] قد استعملَهُ بعضُ الوعَّاظِ فى المقاصد الصحيحةِ تحسينًا للكلام ، وترغيبًا للمستمع ، وهو ممنوعٌ .

وقد استعمله الباطنيةُ فى المقاصد الفاسدةِ ، لتغْرير الناس ، ودعوتِهم إلى مذهبهم الباطل ، فَيُنَزِّلُون القرآنَ على وَفْقِ رأيهم ومَذهبِهم على أمورٍ يعلمون قطعًا : أنها غيرُ مُرادِهِ[٣] .

فهذه الفنون : أحدُ وجْهَىْ المنعِ من التفسيرِ بالرأى .

والوجه الثانى :

أن يسارعَ إلى تفسير القرآن بظاهرِ العربيَّة من غير استظهارٍ[٤] بالسَّماع

---

(١) أى مع علمه بأن المعنى الذى يريده من الاستدلال ليس هو المقصود الأصلى من الآية المسْتدَل بها .

(٢) أى محاولة الخروج بالآية من القرآن عن المُراد بها ، رَغْبَةً فى التَّأثير على المستمع أو القارئ ، كما يفعل بعض المتصوِّفة أو الوعَّاظ ، وهذا اللَّونُ ممنوعٌ ، أى يصدق عليه الحديث الشريف .

(٣) أى غير مُراد القرآن ، أى : يقصدون التَّأويل الموافق لأهوائهم للتَّغرير وهم يعلمون أن مُرادَ الآية غير ذلك .

(٤) استظهار : أى استعانة .

والنَّقلِ : فيما يتعلَّقُ بغرائبِ القرآن ، وما فيه من الألفاظ المبْهَمةِ والمبدَلةِ ، وما فيه من الاختصار ، والحذْف ، والإضمار ، والتَّقديم ، والتَّأخير ، فمَنْ لم يُحْكِمْ ظاهرَ التَّفسير ، وبادر إلى استنباطِ المعانى بِمجرَّد فهْمِ العربيَّة ، كثُر غلطُه ، ودخل فى زُمرة من فسَّر القرآنَ بالرأى .

فالنَّقلُ والسَّماعُ لابدَّ منه فى ظاهر التَّفسير أوَّلًا ؛ ليتَّقىَ به مواضعَ الغلَطِ ، ثم بعد ذلك يتَّسعُ التفهُّم والاستنباطُ ، وإن الغرائبَ التى لا تُفْهَمُ إلَّا بالسَّماع كثيرةٌ ، ولا مطمعَ فى الوصول إلى الباطن قبل إحْكام الظَّاهر ، ألَا ترى أنَّ قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ . معناه : آيةً مبصرةً فظلموا بها أنفسَهُم بقتْلها ، فالنَّاظرُ إلى ظاهريَّةِ العربيَّةِ ، يظنُّ أن المرادَ به : أن الناقةَ كانت مبصرةً ، ولم تكن عمياءَ ، ولا يدرى بماذا ظَلَمُوا ، وأنهم ظَلَموا غيرَهم أو أنفسَهم ، **فهذا من الحذْفِ والإضمار**[1] .

وأمثالُ هذا فى القرآنِ كثير ، وما عدا هذين الوَجْهين فلا يتطرق النهْىُ إليه واللَّه أعلم .

[جامع الأصول فى أحاديث الرسول للإمام المبارك بن محمد : ابن الأثير الجزرى (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ) الجزء الثانى] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **مَنْ قال فى القرآنِ بغيرِ علمٍ فليتبوَّأْ**[2] **مَقعدَهُ من النَّار** » . وفى رواية : « **بما لا يعلَمُ** » .

[أخرجه بعضُ أصحاب السنن وقال التِّرْمذىُّ : حديث حسن] .

وفى رواية أن النبىَّ ﷺ قال : « **اتَّقوا الحديثَ عنِّى إلَّا ما علِمْتُم ، فَمَنْ**

---

(١) أى هذا المثال من الآية السَّابقة فيه حذف لفظ « آية » قبل « مُبصرة » وإضمار لفظ « أنفسَهم » بعد قوله : « بها » وهنا فى الإيجاز بلاغة وإعجاز .

(٢) فليتبوأ : أى فليتَّخذ له مباءة ، يعنى منزلًا .

كذَبَ علىَّ متعمِّدًا فلْيتبَوَّأْ مقعدَهُ من النَّار ، ومَن قال فى القرآن برأيه ، فلْيتبَوَّأْ مَقْعدَه من النَّار » . [أخرجه التِّرْمذى وأخرجه أحمد فى المسند والطبرىُّ فى جامع البيان] .

(٢) وقولٌ لابن كثير فى هذا الأمر العظيم الشأن :

والسؤال هنا : ما أحْسَنُ طُرقِ التَّفسير ؟

أجاب الإمامُ الحافظُ ابنُ كثير المتوفَّى عام ٧٧٤ من الهجرة فقال : « إن أصحَّ الطُّرق فى تفسير القرآن ما يلى :

(١) أن يُفَسَّرَ القرآنُ بالقرآن ، فما أُجْمِلَ فى مكانٍ ، فإنه قد فُسِّرَ فى مَوضِع آخرَ[١] .

(٢) فإن أعْياكَ ذلك فعليكَ بالسُّنَّةِ النَّبويَّةِ ؛ فإنها شارحةٌ للقرآن ومُوضِّحةٌ له .

(٣) ثُم الرجوع : إلى أقوال الصحابةِ ، فإنهم أدْرَى بذلك ؛ لِمَا شاهدوا من أسباب نزولِ القرآنِ ومن الأحوالِ التى اخْتُصُّوا بها ، ولِمَا لهم من الفَهم التامِّ والعِلم الصحيح والعملِ الصَّالح ، لاسيَّما عُلماؤهم وكُبراؤهم ، كالأئمَّة الأربعةِ الخُلفاء الرَّاشدين ، والأئمَّة المهديِّين ، ومنهم عبدُ اللَّه بنُ مسعود ، وعبدُ اللَّه بن عبَّاس ﷺ أجمعين .

(٤) ثُم الرجوع فى ذلك : إلى أقوال التَّابعين كمُجاهد بنِ جبر الذى

---

(١) مثل قوله تعالى من سورة العنكبوت : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ۝١٤ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝١٥﴾ . فهنا إجمالٌ مُعجز وواضحٌ وقويُّ التأثير لقصَّةِ جهادٍ ومُثابرة وإخلاصٍ على مَدى ألف سنةٍ إلَّا خمسين عامًا ، مع قوم غِلاظِ القلوبِ جيلًا بعد جيل ، ومع إصرارٍ على العِنادِ والمُكابرة ، وقد جاء تفصيلٌ لذلك فى سور منها سورة « نوح » و« الشعراء » وغيرهما وفى كل سورة نجد تفاصيل ومواقف وعبر وآيات مع الرَّوعة والإعجاز والجمال .

عرض المصحفَ على ابن عبَّاس ثلاثَ عَرْضَاتٍ ، من فاتحته إلى خاتمتِه ، وقد أوقفه عند كلِّ آيةٍ منه ، يسأله عنها يتلقَّى من عِلم حَبرِ الأمَّةِ وفقيهها ابن عبَّاس .

وكسعيد بن جُبير ، وعكرمةَ مَوْلى ابن عباس ، وعطاء بن أبى رَباح ، والحسن البصرىِّ ، ومَسْروق بن الأجْدع ، وسعيد بن المسيِّبِ ، وقتادةَ والضَّحاك بن مُزاحم ، وغيرِهم من التَّابعين ، وتابعيهم ، ومَن بعدهم .

إذا أجمع التَّابعون على شىء فلا يُرتاب فى كونه حُجَّةً ، فإن اختلفوا فى أمرٍ ، فلا يكون بعضُهم حُجَّةً على بعض ، ولا على مَن بعدهم ، ويُرجَعُ فى ذلك إلى : لغةِ القرآنِ ، أو إلى السُّنَّة ، أو إلى عموم لغةِ العربِ ، أو أقوالِ الصَّحابة فى ذلك .

(٣) وقولٌ لابن عطيَّة فى تفسير القرآن بالرأى :

وقال أبو محمد عبدُ الحقِّ بنُ عطيَّة الغرناطىُّ « ٥٤٤هـ » فى التَّعليق على قوله ﷺ : **«مَن تكلَّم فى القرآنِ برأيه فأصابَ فقد أخطأ»**[١] .

ومعنى هذا : أن يُسْأَلَ الرجلُ عن معنًى فى كتابِ اللَّه فَيَتَسَوَّرَ عليه - أى يجترئ ويعتدىَ - برأيه دون نظرٍ فيما قال العلماء[٢] ، واقتضتْهُ قوانينُ العلوم كالنَّحو والأصول ، وليس يدخل فى هذا الحديثِ أن يُفسِّرَ اللُّغويُّون لغَتَهُ والنُّحاةُ نَحْوه ، والفقهاءُ معانِيَهُ ، ويقول كلُّ واحدٍ باجتهادِه المبنىِّ على قوانينِ عِلْمٍ ونَظَرٍ ، فإن هذا القائلَ على هذه الصِّفةِ ليس قائلًا بمجرَّدِ رأيه .

---

(١) لأن من يفعل ذلك فقد تكلَّف ما لا علمَ له به ولم يأت الأمرَ من بابه ، ولم يتسلَّح بسلاحه ، أمَّا من تكلَّم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعًا فلا حرجَ عليه .

(٢) أى الموثوق بعلْمهم ، والمعلوم عنهم الإخلاص .

وكان جِلَّةٌ من السَّلفِ الصالحِ كسعيد بنِ المسيِّب ، وعامر الشعبىِّ وغيرِهما ، يُعظِّمون القرآنَ ، ويتوقَّفون عنه تَورُّعًا واحتياطًا لأنفسِهم ، مع إدراكهم وتقدُّمِهم .

وكان جِلَّةٌ من السَّلف كثيرٌ عددُهم يفسِّرونه ، وهم أبْقَوْا[1] على المسلمين فى ذلك ﷺ وجزاهم اللَّهُ عنَّا خيرَ الجزاء ، وجَمَعَنا وإيَّاهم فى ظلِّ رحمته .

* * * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾

[سورة الصف : ١ - ٣]

(١) أبْقَوْا : مأخوذ من قولهم أبقيتَ على فلان إذا أشفقت عليه ورحمته .

القرآنُ الكريم أعظمُ مُعجزات النبيِّ ﷺ

« ١ »

عن أبى هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « ما مِنَ الأنبياءِ من نبيٍّ إلَّا قد أُعْطِيَ من الآياتِ ما مِثْلُه آمنَ عليه البشَرُ ، وإنَّما كان الذى أُوتيتُ وحيًا أَوْحَى اللَّه إليَّ ، فأرجو أنْ أكونَ أكثرَهُمْ تابعًا يومَ القيامة » [رواه البخارى] .

المفردات :

الآيات : جمعُ آيةٍ ، وهى العلامةُ والشخص ، وتُجْمَع أيضًا على آى ، وتأتى بمعنى العِبْرة ، وتُجْمع على آى فقط ، والآيَةُ من القرآن « كلامٌ متَّصِلٌ إلى انقطاعه » .

وحْيًا : الوحْيُ هو الكلامُ الخفيُّ والإلهامُ ، وكلُّ ما ألقيتَه إلى غيرك ، والرسالةُ ، والإشارةُ ، والكناية .

مقارنة :

المقصودُ من الحديث النبويِّ السَّابق المقارنةُ بين المعجزاتِ التى مَنَحها اللَّهُ كلَّ نبيٍّ من الأنبياء فيما سبق ، بين هذه المعجزات ، والقرآنِ الكريم الذى جعله اللَّه آيَةَ الآياتِ ، ومعجزةَ المعجزاتِ ، لخاتمِ الأنبياءِ والمرسلين صلواتُ اللَّه عليهم أجمعين .

ويُشير الحديثُ الشَّريف إلى أن كلَّ نبيٍّ من الأنبياء اخْتُصَّ بِما يُثْبِتُ دعواه من خَوارقِ العاداتِ بحسب زمانِه ، وما يُناسِبُ عقليةَ أُمَّتِه ، وما اشْتُهِر عندها من أنواعِ الفنِّ ، وما شاع من ثقافة ، وعِلْم ؛ وفيما يلى أمثلة للبيان :

* ففى زمن موسى بنِ عمرانَ عليه السلامُ شاع السِّحْرُ ، واشْتُهر بين

الناسِ لهذا آمنَ بنو إسرائيلَ وسحرةُ فرعونَ بموسى لمَّا فاقتْ معجزتُه ما اشْتُهر فى زمانهم ، ورأَوْا فى قلبِ العصا ثُعبانًا أمرًا خارقًا للعادة .

* وآمن مَنْ آمن بعيسى بن مرْيمَ عليهما السلامُ لمَّا أَعْيتْ معجزاتُه طبَّ الأطباءِ فى عصره كإحياءِ الموتَى ، وإبراءِ الأكْمَهِ والأبرص - بإذن اللَّه - فلم يجدْ العقلاءُ الموفَّقُون بُدًّا من التَّسليمِ له ، والإيمانِ بما جاء به من عند ربِّه .

* ومن معجزاتِ الأنبياء : إلانةُ الحديدِ لداودَ عليه السَّلام ، واستحالةُ النَّارِ بردًا وسلامًا لإبراهيمَ الخليلِ ﷺ ، وتسخيرُ الرِّيح لسليمانَ ، عليهم جميعًا وعلى نبيِّنا أفضلُ الصَّلواتِ وأتمُّ التسليم .

ومعلومٌ أنَّ كلَّ رسولٍ قبل نبيِّنا محمدٍ صلَّى اللَّه وسلَّم عليهم أجمعين ، كانت رسالتُه قاصرةً على قومٍ دون غيرهم ، وفى زمنٍ محدود ، لهذا صحَّ أن تكونَ معجزتُه مؤقتةً تقومُ حُجَّةً فى وجْهِ هؤلاء الذين أُرسِل إليهم فقط .

ولمَّا كانت رسالةُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ عامَّةً للنَّاس كافَّةً ، وخالدةً باقيةً إلى يوم القيامةِ ، فلابدَّ أن تكونَ معجزتُه ﷺ قائمةً أمامَ كلِّ جيل ، وفى كل أمةٍ وزمان إلى يومِ القيامةِ ، ولا شيءَ يصحُّ لذلك سِوى القرآنِ الكريم ، كلامِ ربِّ العالمين ؛ فإنه معجزةٌ خالدةٌ مدى الزمان تتحدَّى العقلَ إلى يوم الدِّين .

والنبيُّ محمدٌ ﷺ بعثه اللَّهُ إلى النَّاس كافةً ، وهو عربيٌّ نشأ بين قومٍ كانوا فى الغايةِ من البلاغة ، وكانت بها مفاخرُهم فيما بينهم ، حتى كانوا يُعلِّقون أبلغَ قصائدِهم على بابِ الكعبة .

ونزل القرآنُ الكريمُ باللُّغة العربيَّة ، وتحدَّاهم أن يأتوا بسورةٍ من مِّثله ، فلم يقدِروا على ذلك ، لأنَّ القرآنَ الكريمَ فى أعلى طبقاتِ البلاغةِ ، وأسلوبَه يعلو ما كان معهودًا بين أهلِ البلاغةِ من العرب حتى حارتْ فيه عقولُهم ،

ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيءٍ من مِّثله ، مع تَوافُرِ دَواعيهم على تحصيل ذلك ، ومع تقريع القرآنِ لهم على عَجْزهم عنه ، ولذلك رتَّب النبيُّ عليه السلام على ذلك قوله : « **فأرجو أن أكونَ أكثرَهُم تابعًا يوم القيامة** » .

وأشار الرسولُ ﷺ إلى أنَّ معجزتَه التى تحدَّى بها قومَه ليست كمعجزةِ غيرِه من الأنبياء ، بقوله : « **وإنما كان الذى أُوتيتُ وحيًا أوحاه اللَّه إلىَّ** » وهو القرآنُ الكريم .

مُقارَنةٌ :

ويقارن الإمامُ الحافظ بين معجزاتِ الأنبياءِ ومعجزةِ القرآنِ الكريم فيقول :

- إنَّ معجزاتِ الأنبياءِ انقرضتْ بانقراض أعصارِهم ، فلم يشاهدْها إلَّا مَنْ حضرها ، ومعجزةَ القرآنِ مُستمرَّةٌ إلى يوم القيامة .

- وأيضًا المعجزاتُ الماضيةُ كانت حِسِّيةً تُشَاهَدُ بالأبصار ، كعصا موسى عليه السلامُ ، ومعجزةُ القرآنِ الكريم تُدْرَكُ بالبصيرةِ ، فيكونُ من يَتَّبعه لأجلها أكثرَ ؛ لأن الذى يُشَاهَدُ بعينَىْ الرأسِ ينقرضُ بانقراضِ مَنْ شَاهَدَه ، والذى يُشَاهَدُ بعينَىْ العقلِ باقٍ ما بقىَ العقلُ .

وقد حقَّق له ربُّه ما تمنَّاه ، فإنه ﷺ أكثرُ الأنبياءِ تابعًا يومَ القيامة ، وهذا علَمٌ من أعلامِ النبوَّة ، فإنه أخبر عليه السلام بهذا فى زمن قلَّةِ المسلمين ، ثم نصر اللَّه المسلمين وأعانهم ففتحوا البلادَ ، ودخل الناسُ فى دين اللَّه أفواجًا حتى انتشر الإسلامُ فى أقطارِ الأرض ونواحيها .

وللَّه الحمدُ على نِعَمِه التى لا تُحْصى ، وللَّه الحمدُ على نعمةِ الإسلام ، ونعمةِ الإيمان ، ونعمةِ القرآن الذى هو أعظمُ معجزاتِ النبىِّ ﷺ وأعمُّها

وأكثرُها فائدةً ، لأنه يشتمل على الدعوةِ والحُجَّةِ ، ويُنْتَفَعُ به إلى يوم القيامة .

ويُؤْخَذُ من الحديث الشَّريف :

- تأييدُ اللَّهِ الأنبياء بالمعجزات التى تدلُّ على صِدْق دعْواهم .

- تنوُّعُ المعجزاتِ للأنبياء لِحِكْمة .

- فضلُ القرآنِ ، وأنه المعجزةُ الخالدةُ المستَمِرَّةُ ، وبدوامها يتجدَّدُ الإيمانُ ؛ ولهذا يكثُر أَتْباعُ النبيِّ محمدٍ ﷺ فى كلِّ زمان ومكان .

* * * *

أعوذ باللَّه السميع العليم من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ .

[سورة الأحقاف : ٢٩ - ٣٢]

« ٢ »

الإعجازُ القرآنيُّ برهانٌ ساطعٌ وحُجّةٌ على الإنْسِ والجنِّ إلى قيام السَّاعة

قال اللَّه تعالى : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء : ٨٨] .

قال الكفَّارُ حين سمِعُوا القرآن الكريمَ : « لو نَشَاءُ لقُلْنا مِثْل هذا » ، فأكْذَبَهُم اللَّه تعالى ، فبلاغةُ القرآنِ فوقَ كلِّ بلاغة ، والإتيانُ بمثل القرآن لم يكنْ قَطُّ فى قُدرة أحدٍ من المخْلوقين ، وما زال القرآنُ مُعجزةً خالدةً باقيةً دائمةً حتى تقومَ الساعةُ ، تشهدُ للنَّبىِّ محمدٍ ﷺ بالصِّدق ، وأنه نبىٌّ مرسَل ، وأنه خاتمُ الأنبياء والمُرسَلين .

لقد تحدَّى القرآنُ مشركى العربِ ، وهم فى أوْج فصاحتِهم وبلاغتهم أن يأتوا بمثلِ القرآنِ فعجَزُوا ، ولكنهم كابَروا وقالوا : إن النبىَّ ﷺ تقوَّله - أى أنه ليس من عند اللَّه - فأنزل اللَّه عزَّ وجلَّ : ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور : ٣٣، ٣٤] .

ثم أنزل تعجيزًا أبلغَ من ذلك فقال : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود : ١٣] .

فلمَّا عجزوا ، تحدَّاهم أن يأتوا بمثل سورةٍ من سُوَرِه القِصار ، فقال جلَّ شأنُه : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة : ٢٣، ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس : ٣٨] .

والأمرُ فى قوله تعالى : ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ معناه التَّعْجيز ، لقد قال المشركون لمَّا سمعوا القرآن : ما يُشبه هذا كلامَ اللَّهِ ، وإنَّا لفى شكٍّ منه كما قالوا : إنه سِحرٌ ، وإنه شِعْرٌ ، وإنه أساطيرُ الأوَّلين ، فتحدَّاهم القرآنُ أن يأتُوا بسورةٍ مثلِه ، وبيَّن أنهم لم يفعلوا ذلك ، ولم يُطيقوا معارضَتَه ، كما بيَّن أنهم لن يفعلوا ذلك مَدَى الزمانِ ، ومهما ارتقى العقلُ ، وتطوَّرت معارفُ الإنسان .

وفى قوله تعالى : ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ إثارةٌ لِهِمَمِهِمْ ، وتحريكٌ لنفوسهم ؛ ليكونَ عجزُهم بعد ذلك أبدعَ ، وهذا أيضًا من الغُيوب التى أخبر عنها القرآنُ الكريمُ قبل وقوعها ، فقد ارتقت العقليَّةُ العربيَّةُ ، وازدهرت البلاغةُ وتنوَّعتْ الثقافةُ ، وتقدَّمت العلومُ والمعارف ، وما زال البشرُ ، ولن يزالوا عاجزين عن معارضةِ سورةٍ قصيرةٍ من سُور القرآنِ الكريم .

أمثلة : هيَّا نتدبَّر ونتذوَّق :

ومن أمثلة فصاحة القرآن الكريم قولُه تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

* فقد أنبأ سبحانه وتعالى فى إيجازٍ وإعجازٍ : عن الموتِ ، وحسرةِ الفَوْتِ ، وعن الدارِ الآخرةِ وثوابِها وعقابِها ، وفوزِ الفائزين ، وتَردِّى المجرمين ، والتَّحذيرِ من الاغترارِ بالدُّنيا ، ووصْفِها بالقلَّةِ ، إذا قُورِنتْ بدار البقاءِ ، أنبأ عن هذه المعانى الكثيرة ، والصُّور المتعدِّدة : كمشهد الموت ،

والزحزحةِ عن السُّقوط فى جهنَّمَ ، ووفود الفائزين تُفتحُ لهم أبوابُ النَّعيم ، بفضل اللَّه ورحمته ، مع بيان حال الدُّنيا وأنَّها كقبض الكفِّ على لا شىء ، إنها صورٌ ومشاهدُ ومعانٍ جليلةٌ فى ألفاظ قليلة ، فى أربع جُمل قصيرة تضمَّنَتها هذه الآيةُ الكريمةُ .

* وفى شطْر آيةٍ أنبأ سبحانه وتعالى عن قَصص الأوَّلين ، والآخِرين ، ومآلِ المُنكرين الجاحدين ، وعواقبِ المُهْلَكِين ، فقال : ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت : ٤٠] .

وتأمَّلْ : المشاهدَ الحيَّةَ : بما فيها من حركة الحاصب وقوَّتِه المُفْزِعةِ ، ومن الصَّوت تُزهَقُ منه الأرواحُ ، وتأمَّل حركةَ خَسْفِ القومِ وبيوتِهم فى أعماق الأرض ، والماءَ يبتلعُ قومَ نوح ثمَّ فرعون وآله ، تاريخٌ طويل وحوادث كثيرة وضخمة للعبرة والعظة فى ألفاظ قليلة .

* ومن فصاحة القرآنِ العظيم أنَّ اللَّه تعالى ذَكر فى آيةٍ واحدةٍ : أمريْن ونَهييْن ، وخَبرين ، وبِشارَتين ، ولنتدَبَّرْ قولَه تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ⑦﴾ [القصص : ٧] . فهنا الأمر بالإرضاع ، والأمر بالإلقاء فى اليمِّ ، والنَّهىُ عن الخوف على الرَّضيع المُبارَك موسى ، والنَّهى عن الحُزْنِ على مُفارقته ، فهو فى حِفظ خالقه ، وتأمَّل البشارةَ الإلهيَّة بردِّ الرَّضيع إلى صدر أمِّه بعد فراق ، والبشارة الأعظمَ بأنه مِمَّن اصطفاهم ربُّهم لتبليغ آيات الوحى ، ولتربية قومِه على أعظم منهج .

أمَّا الخبران فهما الإخبارُ بالوحى إلى أمِّ موسى لتُرْضِعَهُ ، فإذا شعرت بالخوف على ولدها من عيون فرعون فلتضعه فى النَّهر ، وتتوكَّل على اللَّه .

إنها المعانى العظيمةُ والمواقف الجليلة ، وتأمَّل النَّهْىَ عن الخوف ممَّا هو آتٍ ، وعن الحُزْن على ما وقع ، فقد جاءت البشارةُ لتبريد القلب فى : ﴿إنا رادوه إليك﴾ إن القلم يعجز أمام هذا الإيجاز المعجز .

* * *

إلى غير ذلك من الآيات التى هى أعلى طبقاتِ الإحسان ، وأرفعُ درجاتِ الإيجاز والبيان ، إنه كلامُ ربِّ العالمين ، أنزله على قلب خاتم النَّبِيِّين ، لينقذَ به من الضَّلالة ، ويَهدى إلى صراطٍ مستقيم .

آيةٌ ناطقةٌ بصْدق الدَّاعى ﷺ :

إن الفصيحَ من البشر يصنعُ خُطبةً أو قصيدةً يَستفرغُ فيها جُهدَهُ ، ثم لا يزالُ يُنقِّحُها ، وبعضُهم كان يُنقِّح قصيدتَه حولًا كاملًا ، ثم تُعْطَى لآخرَ بعده ، فيأخذُها ينظر فيها ، فيبدِّلُ وينقِّحُ ، ويضعُ لفظةً مكانَ أُخرى ، وهكذا ثم لا تزال بعد ذلك فيها مَواضِعُ للنَّظر والبدل ، ومواطنُ للنَّقد والخلَل .

أمَّا كتابُ اللَّه تعالى فلو نُزِعَتْ منه لفظةٌ ، ثم أُدير لسانُ العرب أن يُوجَد أحسنُ منها لم يُوجد .

فالقرآنُ الكريم آيةٌ فى حُسن تأليفه ، وفى التئام كلماتِه ، وبديع نظْمِه ، وفى مخالفتِه لكلِّ نظمٍ معهودٍ فى لسان العربِ وفى غيرها .

كما أنَّ فيه من الإخبار بالمُغيَّبات ، وبما كان وما سيكون ، وفيه من الحِكم والمواعظِ والعبرِ ، والشرائع والأحكام ، ومن القصَص ما يشهد للنبىِّ محمدٍ ﷺ بالصدق فيما بلَّغ عن ربِّه ، وهو النبىُّ الأمِّىُّ الذى لم يرحلْ لطلبِ عِلْم ، ولم يختلفْ إلى معلِّم ، ولم يقرأْ كتبَ الماضين ، قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجمعة : ٢ - ٤] .

أسلمتُ وجهى لِلّه :

جاء فى صحيح مسلم أن أنيسًا أخا أبى ذرٍّ ، قال لأبى ذرٍّ : لقيتُ رجلًا بمكَّةَ على دينِكَ ، يزعُمُ أنَّ اللّه أرسلَهُ ، قال أبو ذرٍّ : فما يقول الناسُ ؟

قال : يقولون : شاعرٌ ، كاهنٌ ، ساحرٌ ، وكان أنيس أحدَ الشعراء .

فقال أبو ذَرٍّ : ما تقولُ أنت ؟

قال أنيس : لقد سمعتُ قولَ الكَهَنَةِ ، فما هو بقولِهم ، ولقد وضعتُ قولَه على أَقْراءِ الشِّعْرِ[(١)] ، فلمْ يلتئِمْ على لسانِ أحدٍ بعْدِى أنه شعرٌ ، واللّهِ إنَّه لصادقٌ ، وإنهم لكَاذِبون .

نعم . . إن للقرآن حلاوةً ، وإن عليه لطَلاوةً ، وإن أعلاه لمُثمر ، وإن أسفلَه لمُغدِقٌ ، وإنه يَعلو وما يُعلَى . . وإنه ليس من كلام الإنس ، ولا من كلام الجنِّ ، بل لم تلبث الجنُّ إذ سمعتْه أن قالت : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن : ١، ٢] .

إنه آيةٌ فى البلاغة ، والفصاحة ، والبيان ، والرَّوعة والتَّأثير . .

فاللَّهم انفعنا ببركة القرآن العظيم ، وارْحَمنا ، وارْزُقْنا حُبَّك يا ربَّ العالمين ، وحُبَّ كلِّ قولٍ وعملٍ يقرِّبنا إليك ، وحُبَّ كلامِك ، وحُبَّ خاتَمِ رُسُلِكَ ، وحُبَّ جميعِ إخوانِه النبيِّين والمرسلين ، وحُبَّ آلِ بيته وأصحابِه أجمعين ، وارزقنا شفاعة القرآن ، وشفاعة الحبيب المصطفى ﷺ ، وشفاعةَ الصيام .

آمين آمين آمين

* * * *

---

(١) أقراء الشعر : قوافيه وطرقه وبحوره والمفرد قُرء .

القسم الثانى

منزلة السُّنَّة النبويَّة

من القرآن الكريم

* * * *

دعاء

من دعاءٍ علَّمه النبيُّ ﷺ لعليِّ بنِ أبى طالب كرَّم اللّه وجهه :

« اللّٰهُمَّ بديعَ السمواتِ والأرض ، ذا الجلالِ والإكرام والعِزَّة التى لا تُرام(١) : أسألُكَ يا أَللّهُ ، يا رحمنُ بجَلالِكَ ، ونورِ وَجْهِكَ أنْ تُلْزِمَ قلبى حِفظَ كتابِك ، كما علَّمتنى ، وارْزُقنى أن أتلُوَه على النَّحو الذى يُرضيك عنِّى . اللّٰهُمَّ بديعَ السمٰواتِ والأرض ، ذا الجلالِ والإكرام والعِزَّةِ التى لا تُرام(١) : أسألُكَ يا أَللّهُ ، يا رحمنُ بجَلالِكَ ، ونورِ وَجْهِكَ أنْ تُنوِّرَ بكِتَابِكَ بَصرِى(٢) ، وأن تُطْلِقَ بهِ لسَانِى ، وأن تُفَرِّجَ بهِ عن قَلْبى ، وأن تَشْرَحَ بهِ صَدْرِى ، وأن تَستَعْمِلَ بهِ بَدَنِى ، فإنَّه لا يُعينُنى عَلَى الحقِّ غيرُكَ ، ولا يُؤْتِينيهِ إلَّا أنت ، ولا حوْلَ ولا قوَّةَ إلَّا باللّه العلىِّ العظيم » . [رواه ابن عباس من حديث طويل وأخرجه التِّرْمذىُّ والحاكمُ] .

حُسن التجويد والخشوع فى القراءة :

قال أبو هريرة ﷺ ، قال رسول اللّه ﷺ : « ما أَذِن اللّهُ لشىءٍ ، كما أَذِن لنبىٍّ حَسَنِ الصوتِ يتَغنَّى بالقرآن ، ويَجْهَرُ به » . [أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما] .

ومعنى : أَذِنَ بكسر الذال قبلها فتحٌ : أى ما استمع سبحانه لشىءٍ من كلام النَّاس ، كما استمع اللّهُ إلى من يَتَغَنَّى بالقرآن : أى يُحَسِّنُ به الصوتَ يعنى يُرتِّله ترتيلًا حَسَنًا بصوتٍ رَخيم فيه خشوعٌ .

وفى لفظ عند الطَّبرىِّ : « ما أَذِن لنبىٍّ حَسَنِ التَّرنُّم بالقرآن » أى : حَسَنِ التجويدِ والقراءةِ مع الخشوع والتدبُّر .

---

(١) العزّة التى لا تُرام : أى لا تُدرَك ، ولا يشابهها عِزٌّ .

(٢) تنور بكتابك بصرى : أى تضىء وتَهدى كى أسير على طريق مستقيم .

أولًا : لَمحةٌ تاريخيَّة :

قال الإمامُ الحافظ جلالُ الدِّينِ السُّيوطيُّ ، المتوفَّى عام أحدَ عشرَ بعد التِّسعِمائةِ من الهجرة النبويَّة ، فى كتابه « مِفتاح الجنَّة فى الاحتجاج بالسُّنَّة » :

« إن ممَّا فاح رِيحُه فى هذا الزمان - أى القرن العاشر من الهجرة - وكان دارسًا[1] ، بحمد اللَّه منذ أزمان ، هو أن قائلًا رافضيًّا زِنديقًا أكْثَرَ فى كلامه أن السُّنَّةَ النبويَّةَ والأحاديثَ المرويَّةَ - زادها اللَّه علوًّا وشرفًا - لا يُحْتَجُّ بها ، وأن الحُجَّة فى القرآنِ خاصَّةً .

ثم قال السُّيوطيُّ : وأصلُ هذا الرأى الفاسدِ أن الزنادقةَ وطائفةً من غُلاة الرَّافضةِ : ذهبوا إلى إنكار الاحتجاجِ بالسُّنَّة والاقتصارِ على القرآن ، وهم فى ذلك مختلفو المقاصدِ » .

ومن ذلك يتبيَّن لنا : أن القولَ بعدم الاحتجاج بالسُّنَّة النبويَّةِ قوليَّةً كانت أو فعليَّةً ليس من بِدَع عصرنا الحاضر - القرنِ الرابعَ عشرَ من الهجرة - إذ فاحت لذلك القولِ رائحةٌ فى مناطقَ مُتعدِّدةٍ من وطننا الإسلامىِّ ، ودعَاوى أصحابِه لا تستندُ إلى رأى أصيل ، وحُجَجُهم أوْهَى من خُيوط العنكبوت .

وإن نشأةَ هذه الفتنةِ ترجعُ إلى دخول طوائفَ فى الإسلام رغبةً أو رهبةً لا عن صِدقٍ وإيمانٍ صحيح ، وظلَّ هؤلاء المنافقون يتحيَّنون الفرصَ للكيد لهذا الدِّينِ ، إلى أن وقع الخلافُ بين بعض الصحابةِ رضوانُ اللَّه عليهم أجمعين ، وحدثت فتنةٌ سياسيَّةٌ بعد مقتل الصحابىِّ الجليلِ عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه ، فبدأت طوائفُ المنافقين تكشفُ عن نواياها بصورٍ متعدِّدة منها :

---

(١) دارسًا : من درس أى امَّحى وانقضى .

إنكارُ السُّنَّة ، والقولُ بعدم الاحتجاج بها :

والذين طعنوا فى السنَّة النبويَّةِ كانت تجمعُهم الرغبةُ فى الكيد للإسلام وإن كانت المعتقداتُ الخاصَّةُ بكلِّ طائفةٍ منهم تُفرِّقُهم : إذ كان منهم من أنكر نُبوَّةَ الرسولِ محمَّد ﷺ ، ورأى أن جبريلَ أخطأ فى نزوله إلى سيِّد المرسَلين محمدِ بنِ عبدِ اللَّه ﷺ - تعالى اللَّه عمَّا يقول الظَّالمون عُلوًّا كبيرًا - ولهذا الاعتقادِ الفاسد السَّقيم رَفض هذا الفريقُ ما رُوى عن النبيِّ محمدٍ ﷺ فى بيان الأحكام ، وتفصيل ما جاء مُجملًا فى القرآن الكريم .

ومنهم من أقرَّ للنبيِّ محمد ﷺ بالنبوَّة ، ولكن قال : إن الخلافةَ كانت لعليِّ بنِ أبى طالب رضي الله عنه ، وطعنوا فى اختيار الصَّحابةِ أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه خليفةً للمسلمين ، وجهروا لذلك بكُفر الصَّحابة - والعياذُ باللَّه - كما جهروا بعد ذلك بِكُفر عليِّ بنِ أبى طالب رضي الله عنه لعدم قيامِه بطلبِ حقِّه ، وبنى هؤلاء الزنادقةُ على ذلك رَدَّ الأحاديثِ كلِّها ؛ لأنها عندهم بزعْمهم الفاسدِ من رواية قومٍ كُفَّار ، فإنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون .

أفكار واهية ونفوسٌ خبيثةٌ :

هكذا نشأت تلك الفتنةُ بهذا القولِ الباطل ، وكلَّما خَبتْ نارُها ، ظهر لها شَرارٌ من حينٍ إلى آخر ، وقد تصدَّى أئمَّةُ المذاهبِ الأربعةِ وأصحابُهم فى دروسهم ، ومناظراتهم ، وتصانيفهم للردِّ على هؤلاء الزَّنادقة ، وبيَّنوا للنَّاس أباطيلَهم ، وأقاموا الحجَّةَ عليهم ، ومع مرور الأيام تشعَّبت الأهواءُ بأهل الباطل هؤلاء ، فصاروا أحزابًا متعدِّدة ، وكثُرت نِحَلُهم ودعاواهم مع مرور الأزمان ، وحفِظَ اللَّهُ دِينَه من كيد الكائدين ، ومكرِ الماكرين : ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ . [فاطر : ٤٣]

الأصل الثانى :

إنَّ القرآنَ الكريم هو الأصلُ الأوَّلُ للدِّين الإسلامىِّ ، والسُّنَّةَ النبويَّةَ الشريفةَ هى الأصلُ الثانى من أصوله ، وهى خادمةٌ للقرآن وشارحةٌ له ، ولا حُجَّةَ إلَّا فيما قال اللَّه تعالى ، أو قال رسوله ﷺ .

وإن كلَّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويُردُّ إلَّا رسولَ اللَّه ﷺ ، إذ أمرنا اللَّه باتِّباعه والأخذِ عنه ، وجَعل طاعته والرِّضا بِحُكمه شرطًا فى صِحَّة الإيمانِ .

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء : ٨٠ ، ٨١]

وتأمَّل : ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وما فيه من التأكيد على المسلمين من نبذ آراء وأفكار هؤلاء الذين يسعون إلى إسلامٍ خالٍ من معناه الذى أراده اللَّه عزَّ وجلَّ ، فالكتاب والسُّنَّة الشَّريفة الثابتة وحْىٌ من اللَّه ، ومن لم يتَّبع الرَّسول فهو غير مسلم مهما ادَّعى أنه يؤمن بالقرآن دون السنَّة .

الأمانةُ والصِّدْقُ والتَّدوينُ والدِّقة العلميَّة :

وإنَّ الصحابةَ رضوان اللَّه عليهم أجمعين هم الَّذين نقلُوا سُنَّةَ الرسولِ ﷺ نقلًا أمينًا واعيًا بالأفعال وبالأقوال ، ثم أخذ التَّابعون عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، واجتهد المسلمون فى تدوين السُّنةِ وكتابةِ الحديثِ حتى صار فيما بَعْدُ عِلمًا مستقلًّا ، مضبوطًا مُصانًا من الدَّخيل .

وفى عصر عمرَ بنِ عبد العزيز شاع التَّدوينُ فى الحديث ، وكثُر مَن ألَّف فيه ، ونشطت هِمَمُ العلماءِ والمُحدِّثين : للتَّمييز بين الصَّحيح والسَّقيم ، والشَّريف والدَّخيل ، حتى صارت الأحاديثُ الصحيحةُ والسُّنَّةُ الثابتةُ أمام

الأجيال تلْقَى مزيدًا من العناية جيلًا بعد جيل .

وصار هَدْىُ الرَّسولِ فى الصَّلاة ، وفى الصِّيام ، وفى الحجِّ والعُمرة ، وفى الزكاة وفى المعاملات وفى الفضائل واضحًا جليًّا ، كأنَّه ﷺ ماثلٌ أمامنا ، فى كلِّ شأن أمره اللَّه بتبليغه ، أو توضيحه ، وتفصيله بالقول وبالفعل ، فأمامنا الشَّمسُ ساطعة بفضل اللَّه وإحسانه علينا ، فاللَّهُمَّ ارْزُقنا حُسْنَ الاقتداء به والأخذِ عنه ﷺ .

على سبيل المثال :

وإن كُتبَ الصِّحاح ومنها صحيحُ الإمام البخارى تناولَها أهلُ العلم بالتدقيق والمراجعةِ على أسُس وأصولٍ علميَّةٍ سليمةٍ ؛ ليبيِّنوا للنَّاس ما قد يكون اختلط بها من الأحاديث الضَّعيفة ، وقد تتبَّع الإمامُ الحافظُ ابنُ حَجَر العسقلانىُّ صحيحَ البخارىِّ الذى يشتمل على ٢٦٠٢ من الأحاديث غيرِ المُكرَّرةِ ، فلم ينتقد عليه الحافظُ غيرَ عشرةٍ ومائةِ حديثٍ [١١٠] ، وقال : « وليست عِلَلُها كلُّها قادحةً بل بعضها الجوابُ عنه ظاهر ، وبعضُها الجوابُ عنه مُحْتمِل ، واليسير منها فى الجواب عنه تَعسُّف » .

وفى الجامع الصحيح - وهو سُنن الإمام التِّرْمذىِّ - اعتنى التُّرمذىُّ نفسُه كلَّ العناية فى كتابه بتعليل الحديث ، فيذكر درجتَه من الصِّحَّة أو الضعفِ ، ويُفصِّل القولَ فى التَّعليل والرِّجال تفصيلًا جيِّدًا ، وصار كتابُه بذلك كأنه تطبيقٌ عملىٌّ لقواعدِ علوم الحديثِ خصوصًا عِلم العِلَل .

وإن جهودَ العلماءِ المخلصين فى خدمة السنَّةِ النبويَّةِ الشَّريفة لا ينكرها مسلمٌ ، إذ كانت ثمرةُ تلك الجهودِ وجودَ هذا الكنز الثَّمينِ من الأحاديث الصحيحة ، والسنَّةِ النبويَّة الثابتة ، فى كتب الصِّحاح المعروفة ، وما تفرَّع

عنها مِمَّا ألَّفه المؤلِّفون ، على توالى العصور إلى عصرنا هذا ، من مُختصرات ومختارات ، وشرح وتحليل - والحمد للَّه ربِّ العالمين - .

والمسلمُ ينبغى له أن يغار على دينه ، وأن يرجعَ إلى الحقِّ دومًا ، وأن يَعضَّ على سُنَّة النبىِّ الأمين ﷺ بالنواجذ .

أخرج البيهقىُّ بسنده عن أبى أيُّوب السِّختيانىِّ قال : « إذا حدَّثتَ الرجلَ بسُنَّة ، فقال : دَعْنا من هذا وأنْبِئْنا عن القرآن الكريم فاعلَمْ أنه ضالٌّ » .

أى : إن مَن يدَّعى الأخذَ بالقرآن وحده دون سنَّة الحبيب المصطفى ، فهو ضالٌّ بعيدٌ عن صراط الإسلام ، واتَّخذ لنفسه دينًا على هواه ، ليُضِلَّ مَن يأخذ برأيه ويرضاه ، والعياذُ باللَّه .

وأخرج البخارىُّ عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال : « بَلِّغُوا عنِّى ولو آية ، وحَدِّثوا عنِّى ، ولا تكذبُوا علىَّ ، فمن كَذَب علىَّ مُتعمِّدًا فليتبوَّأ مقعدَه من النَّار » .

توقيرُ الصحابة وصِدْقُهم :

عُرِفَ عن أصحاب رسولِ اللَّه ﷺ الصدقُ والإخلاصُ ، والحذقُ وصفاءُ الذِّهن ، والرغبةُ فى خدمة الدِّين ، وكانوا جِدَّ حريصين على اتِّباع أمرِ رسولِ اللَّه ﷺ وآثارِه وأحواله ، مع شِدَّةِ الأمانة فى النَّقل عنه ﷺ .

أخرج الإمامُ مالكٌ رضي الله عنه أن رَجَاء بنَ حَيوه حدَّثه : « أن عبدَ اللَّه بنَ عمر رضي الله عنهما كان يتتبَّعُ أمرَ رسولِ اللَّه ﷺ وآثارَه وحالَه ، ويهتمُّ به ، حتَّى كان قد خِيفَ على عَقله من اهتمامه بذلك » .

وعن قتادةَ : « أن إنسانًا حدَّث بحديثٍ فقال له رجلٌ : أسمعتَ هذا من رسول اللَّه ﷺ قال : نعم ، أوْ حدَّثنى مَن لم يَكذب ، واللَّهِ ما كنَّا نكذبُ ،

ولا كُنَّا نَدرى ما الكذبُ » . ﷺ أجمعين . و « أو » هنا للشَّكِّ أى أنه إمَّا سمعه من الرَّسولِ مباشرةً ، أو سَمِعَه من صحابىٍّ ، وهم لا يعرفون الكذب .

وإنَّ أحدًا عنده ذَرَّةٌ من الإيمان الصَّحيح باللَّه ، لا يُمكنه أن يُنكرَ أو يردَّ قولَ الصحابىِّ ، إذا صحَّتْ نِسبتُه إليه ، وأنه نقله عن رسول اللَّه ﷺ أوْ وَصَف به ما شَاهَده من أحواله وعباداتِه وتقريراتِه ﷺ ، فأصحابُ رسولِ اللَّه ﷺ وَصَفَهُم اللَّه عزَّ وجلَّ بأنهم : ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ . [الفتح : ٢٩] .

وكفاهم بذلك فضلًا وشرفًا ، ومهما كان بينهم من خلاف - أحيانًا - فى وجهاتِ النَّظرِ نحو مسائلَ خاصَّةٍ إلَّا أنَّهم كانوا مُلْتقين على الإخلاص للدِّين والحرصِ عليه ، والعملِ لإعلاء شأنِه ، وكان الواحدُ منهم لا يَنطِق بما لا يعرِف ﷺ أجمعين .

ثم إننا جميعًا نؤمن إيمانًا جازمًا أن نبىَّ اللَّه محمدًا ﷺ كان أمينًا على وَحْى اللَّه ، فبلَّغه ، وأشهد اللَّهَ على ذلك ، بلَّغ ﷺ القرآنَ باللَّفظ والمعنى وقد حَفِظَه مَنْ حَفِظه من أصحابه فى صدورهم[(١)] ، وبلَّغ ﷺ الأحكامَ التى أُوحيتْ إليه بالمعنى بلَّغها بالقولِ والعمل ، وهى السنَّةُ النبويَّةُ الهادِيةُ ، ثم إن الصَّحابةَ هم الذين رَوَوْا لنا القرآنَ الكريم ، ونحن نؤمن بذلك ونَعْلَمه ،

---

(١) لقد حفظ القرآن كلَّه فى صدره جَمْعٌ كبيرٌ من الصَّحابة فى عهده ﷺ حسب ما سمعوه منه ، وبعضُ الصَّحابة جمع القرآن فى قلبه ثم كمَّله بعده ﷺ ، وهم جمْع غفيرٌ ، وكلُّ جيلٍ أقرأ البناتِ والبنين ، وهم فى عصرنا بمئات الألوف يحفظونه بسنده إلى رسول اللَّه ﷺ آيات ومعجزات .
وفى وقْعة « بئر معونة » فى عام أربعة من الهجرة ، قَتل المتآمرون نحو سبعين رجلًا من =

فكيف يَسوغُ لعاقل أن يردَّ أحاديثَهم عن رسول اللَّه ﷺ . . بل الواجب الذى يَفرضه الدِّينُ ، ويرضاه العقلُ السَّليمُ أن نقبلَ وأن نُلزِمَ أنفسَنا بما صحَّ عنهم من السنَّة النَّبويَّة ؛ إذ ناقلُ القرآنِ ، وناقلُ السُّنَّة واحدٌ وهم صحابتُه أنفسُهم ﷺ .

ولعلَّه قد وضح أن القولَ بعدم الاحتجاج بالسنَّة النبويَّة الشَّريفةِ الثابتةِ عنه ﷺ فِعْليَّةً كانت أو قوليَّةً قد ظهر منذ زمانٍ طويل ، عن طريق المنافقين الذين دخلوا فى الإسلام وقلوبُهم مَريضة ، وأرادوا أن يكونوا مَعاولَ هدمٍ للإسلام باسم الغَيرة عليه ، وقد واتتهم الفرصُ عندما اختلف بعضُ أصحابِ رسولِ

= الصَّحابة ، يُقال لهم (القُرَّاء) واشتُهر من الحُفَّاظ الذين قرءوا على رسول اللَّه ﷺ جمع منهم : «أبىُّ بن كعب ، وزيدُ بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو الدَّرداء ، وسعدُ بنُ عُبيد ، وأبو زيد ثابت بن زيد الأنصارى ، ومجمع بن جارية . وزاد محمد بن إسحاق فى الفهرست : الإمامَ علىَّ بنَ أبى طالب ، وعبيدَ بنَ معاوية ، وقيل : اسمه عتيك بن معاذ الجزرى ، وأضاف ابنُ سيرين : عثمانَ بن عفَّانَ ، وتميمًا الدارىَّ .

وقد حفظ فى عهده ﷺ كما جاء عند أبى عبيدة فى كتاب «القراءات» الخلفاء الأربعة ، وطلحة ، وسعد ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وسالم ، وأبو هريرة ، وعبد اللَّه بن السَّائب ، والعبادلة الثلاثة (ابن عمر/ ابن عمرو/ ابن عباس) وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة هؤلاء من المهاجرين ، ومن الأنصار : «عبادة بن الصامت ، ومعاذ ، ومجمع بن جارية ، وفضالة بن عبيد ، ومسلمة بن مخلد» ، وصَرَّح أن بعضهم كمَّل القرآن بعده ﷺ .

قال الآمدى : أبو الحسن على بن أبى علىٍّ محمد بن سالم التَّغلبى الفقيه [وفاته فى القرن السابع] فى كتابه «الأفكار الأبكار» : «إن المصاحف المشهورة فى زمن الصَّحابة ، كانت مقروءة عليه ﷺ ، ومعروضة ، وكان مصحف عثمان بن عفَّان رضى اللَّه عنه آخر ما تمَّ عَرْضُه على النَّبىِّ ، وكان عليه السلام يصلِّى به إلى أن قُبض .

قال ابن سيرين عن عبيدة السَّلمانىّ - كما عند ابن أبى شيبةَ فى الفضائل : «القراءةُ التى عُرضت على النَّبىِّ ﷺ فى العام الذى قُبض فيه هى القراءة التى يقرؤها النَّاسُ اليوم» .

وقال البغوىُّ وهو أبو محمد الحسين بن مسعود الشافعىُّ [ت ٥١٦ هـ] بِمَرْو «إن زيدَ بنَ ثابت شهِد العَرْضة الأخيرة ، التى بُيِّن فيها ما نُسِخَ وما بَقى ، وكتبها له ، وقد كتبها للرسُول ﷺ ، وقرأها عليه ، وكان يُقرئ النَّاس بها حتَّى مات ، ولذلك اعتمده عمر وأبو بكر رضى اللَّه عنهما ، وجَمعه ، ثم ولَّاه عثمان رضى اللَّهُ عنه كتْبَ المصاحف .

اللَّه ﷺ . . فأعلنوا تكفيرهم لفضلاء الصَّحابة ، ومن ثَمَّ رفضوا ما نقله الصحابةُ من سُنَّة الرسول ﷺ- والمؤسف حقًّا- أن هذه الفتنةَ لا تكاد تخبو ، ويتطهَّر الجوُّ من رائحتها الكريهة ، حتى تعودَ على نحو مَّا بهدف إضلالِ الناس عن الحقِّ .

وهنا نودُّ أن يسمعَ كلُّ مَن بقى فى قلبه ذَرَّةٌ من الإخلاص لدينه ، مِمَّن خُدِعوا بِمثل هذه الدَّعاوى قولَ الإمام مالِكٍ رضي الله عنه .

« السُّنَّةُ سفينةُ نوحٍ : مَنْ ركبها نَجا ، ومن تخلَّف عنها غرِق » .

* * * *

وإليكم فتوى شرعيَّة من إمام عظيم :

فتوى :

والفتوى للإمام الحافظ جلال الدِّين السُّيوطىِّ رحمه اللَّه يقول :

« اعلموا رَحِمَكم اللَّهُ ، أَنَّ مَنْ أنكر كونَ حديثِ النبىِّ ﷺ قولًا كان أو فعلًا بشرطه المعروفِ فى الأصول حُجَّةً كفَر ، وخرج عن دائرة الإسلام وحُشِرَ مع اليهود والنَّصارى ، أو مع مَنْ شاء اللَّهُ من فِرَق الكفَرة » .

فليُتَأَمَّل

واللَّه الهادى إلى سواء السبيل .

* * * *

ثانيًا : البيان :

قال اللَّه تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ . [الحشر : ٧] .

وقال جل شأنه : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ . [النحل : ٤٤] .

وقال سبحانه : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . [النور : ٦٣] .

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ . [الشورى : ٥٢] .

وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ . [محمد : ٣٣] .

إن هذه الآياتِ دلَّت على وجوب اتِّباع أمرِ النَّبيِّ محمدٍ ﷺ والأخْذِ عنه ولزوم طاعتِه ، والانقيادِ لكلِّ ما جاء به ، فلا يَسَعُ أحدًا ردُّ أمرِهِ لفرْض اللَّه طاعتَهُ .

وقد قرن اللَّه طاعتَهُ بطاعةِ نبيِّه فى آياتٍ كثيرة ، وجعل طاعتَهُما سببًا للنَّجاة والفوزِ برضوان اللَّه ، والإعراضَ عنهما سببًا للعذاب والهلاك .

قال تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ . [الفتح : ١٧] .

ذكر ابنُ عبد البرِّ فى كتابٍ له عن عبد الرحمن بنِ زيد : أنه رأى مُحْرِمًا عليه ثيابُه ، فنهَى المُحرِمَ ، (أى طَلب منه نَزْعَ المَخِيط ، والمُحيط كالجورب والطاقيَّة) .

فقال هذا المُحرِم : ائتنى بآيةٍ من كتاب اللّه تَنزع ثيابى - أى تأمر بأن ينزعَ الرجلُ المُحرم بحجٍّ أو عُمرة المَخِيط - قال : فقرأ عليه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ .

وكان طاووس يُصلِّى ركعتين بعد العصْر ، فقال ابنُ عباس (اتركْهما) فقال : إنَّما نُهِى عنهما أن تُتَّخذا سُنَّةً .

فقال ابن عباس : قد نَهى رسولُ اللّه ﷺ عن صلاةٍ بعد العصرِ ، فلا أدرى أتُعَذَّبُ عليهما أم تُؤْجَر ؟ لأن اللّه تعالى يقول : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ . [الأحزاب : ٣٦]

تشريعُ الرَّسول بوحْى وإن لم ينزل فيه قرآن :

رَوى أبو داودَ عن المِقدام بنِ معد يكربَ عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : « أَلَا وإنِّى أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه ، أَلَا يُوشِك رجلٌ شَبعان على أريكةٍ يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتُم فيه من حلالٍ فأحِلُّوه ، وما وجدتُم من حرام فحرِّموه ، أَلَا لا يَحِلُّ لكم الحمارُ الأهلىُّ ، ولا كلُّ ذى نابٍ من السِّباع ، ولا لُقطَةُ مُعاهدٍ ، إلَّا أن يستغنىَ عنها صاحبُها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يُقْروه ، فإن لم يُقْروه ، فله أن يُعْقِبَهُم بمِثْل قِراه » .

قال الخطَّابىُّ :

قوله : « أوتيتُ الكتابَ ومثله معه » يَحمل وجهين :

أحدهما : أن معناه أنه أُوتى من الوحْى الباطنِ غيرِ المتلوِّ مثل ما أُعطى من الظَّاهر المتلوِّ ، (أى القرآن) .

الثانى : أنه أُوتى الكتابَ وحيًا يُتلَى ، وأوتى من البيان مثلَه ، أى أُذِن له أن يُبيِّنَ ما فى الكتاب : فيعُمَّ ويَخصَّ ، ويزيدَ عليه ، ويشرعَ ما فى الكتاب ،

فيكون فى وجوب العملِ به ، ولزوم قبولِه كالظّاهر المتلوِّ من القرآن .

وقوله : « يوشك رجلٌ شبعان » الحديث ، يُحذِّر بهذا القولِ من مخالفة السُّننِ التى سَنَّها الرسولُ ﷺ مِمَّا ليس له فى القرآن ذِكرٌ .

« والأريكة » : السرير ، وأراد أصحابَ التَّرفُّه والدَّعَةِ الذين لزِموا البيوتَ ولم يطلبوا العلمَ من مظانِّه .

وقوله : « فله أن يُعقبهم بمثْل قِراه » : هذا فى حال المُضطرِّ الذى لا يَجد طعامًا ، ويخاف التَّلفَ على نفسه ، فله أن يأخذَ من مالِهم بقدرِ قِراه - أى ما يكفى طعامَه وسدَّ جُوعِه - عِوَضَ ما حَرموه من قِراه .

و « يُعقِبهم » : يُروَى مُشدَّدًا ومخفَّفًا من المعاقبة .

وفى هذا الحديث دلالةٌ على أنه : لا حاجةَ بالحديث إلى أن يُعْرَض على الكتاب ، فإنه مهما ثبتَ عن رسول اللّه ﷺ كان حُجةً بنفسه .

وفى هذا الحديث أيضًا حرَّم النبىُّ ﷺ الحمارَ الأهلىَّ ، وكلَّ ذى نابٍ من السِّباع ، ولُقَطةَ المُعاهد إذا لم يَستغنِ عنها ، ولم يَرِدْ لذلك نصٌّ صريح فى القرآن ، وقال رسول اللّه ﷺ يُحذِّر المعرضين عن سُنَّته : « **يُوشك أن يقْعدَ الرجلُ على أريكته يُحدِّثُ بحديثى فيقول : بينى وبينكم كتابُ اللّه فما وجدنا فيه حلالًا استحلْلناه ، وما وَجدنا فيه حرامًا حرَّمناه ، ألَا وإنَّ ما حرَّم رسولُ اللّه ﷺ مثْلُ ما حرَّم اللّه** » .

قال البيهقىُّ : وهذا خبرٌ من رسول اللّه ﷺ عمَّا يكون بعده من ردِّ المبتدعةِ حديثَه ، فوجِدَ تصديقُه فيما بعده .

ونلتفت جيِّدًا إلى ما يلى :

ومن الآيات السَّابقة وغيرِها ، ومن الحديثين السَّابقين يتَّضح لنا :

* أن المسلمَ لا يستطيعُ أن يعبدَ اللَّهَ حقَّ عبادتِهِ ، وأن يؤدِّىَ فرائضَهُ على الوجْه الذى طلبه اللَّهُ من عباده إلَّا إذا عمِل بالسُّنَّةِ النبويَّة .

* أن الذين تعلَّقُوا بظاهر القرآنِ الكريم - قديمًا وحديثًا - وتركوا السنَّةَ التى قد ضُمِّنَتْ بيانَ الكتابِ ضالُّونَ مُضِلُّون ، وليسوا على طريق الإسلام ، وإن ماتوا على إنكارهم السنَّةَ الصحيحةَ ماتوا على الكُفر ، والعياذُ باللَّه .

* واعْلَمْ أنَّ من أشدِّ النَّاسِ ضَلالةً ، وبُعْدًا عن الإسلام الشَّخصَ الذى يُكذِّبُ صحابيًّا (أى يقول : فلان من الصَّحابة كذَّاب) أو يشتمُ صحابيًّا أو يسُبُّه ، هؤلاء إن لم يتوبوا ، ويرجعوا إلى الحقِّ وحُكم الكتابِ والسُّنة ، وإلى محبَّة الصَّحابة جميعهم ، والرِّضا عنهم ، فإن العاقبةَ لهؤلاء المنحرفة أفكارُهم غَضَبُ اللَّهِ وسخْطُه عليهم ، والعياذُ باللَّه .

حوار وبيان :

أخرج البيهقىُّ بسَندِه عن شَبيب بنِ أبى فضالة المكِّىِّ ، أن عمران بنَ حُصين ﷺ ذكَر الشفاعةَ ، فقال رجلٌ من القوم : يا أبا نُجيد ، إنكم تحدِّثوننا بأحاديثَ لم نجدْ لها أصلًا فى القرآن ، فغضب عمران ، وقال للرجل : قرأتَ القرآن ؟ قال : نعم . قال : فهل وجدتَ فيه صلاةَ العشاء أربعًا ، ووجدتَ المغرب ثلاثًا ، والغَداةَ ركعتين ، والظُّهر أربعًا ، والعصر أربعًا ؟ .

قال الرجل : لا . قال عمران : فعن مَنْ أخذتُم ذلك ؟ ألستُم عنَّا أخذتُموه[١] ، وأخذناه عن رسول اللَّه ﷺ ؟

(١) أى عن الصحابة لمن جاء بعدهم ؛ لأن الصحابة واسطة بين النبىِّ ﷺ ومن جاءوا بعدهم من التَّابعين . فوجَبَ علينا وجوبًا قطعيًّا إيمانيًّا توقيرهم جميعًا - رضوانُ اللَّهُ عليهم - والدُّعاء لهم ، فهم الذين نقلوا إلينا بإخلاصٍ ، ومحبَّة ، وأمانةٍ ، وصدقٍ ، ودِقَّةٍ نقلوا إلينا القرآن =

أوجدتُم فى القرآن مِنْ كلِّ أربعين شاةً شاةٌ ، وفى كُلِّ كذا بعيرًا كذا وفى كل كذا درهمًا كذا . (أى تفاصيل زكاة الأموال ومقاديرها) .

قال الرَّجلُ : لا ، قال : فعن مَنْ أخذتُم ذلك ؟ ألستُم عنَّا أخذتُموه وأخذناه عن النبىِّ ﷺ ؟

وقال : وجدتُم فى القرآن ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ . [الحج : ٢٩] . أوجدتُم فيه : « فطُوفوا سَبعًا ، واركعوا ركعتيْن خلفَ المَقام » ؟ .

ثم قال عمران : أمَا سمعتُم اللَّه قال فى كتابه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ .

وفى هذا بيانٌ واضحٌ لذوى الألباب ولأصحاب العقول والأفهام ، أن مَن أنكر السُّنَّة فقد أنكر الإسلام وشرائعَه ، وهلك مع الهالكين إلَّا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا ، أى فيه اقتداء وإخلاص .

البيان من النبىِّ ﷺ :

ثم إن البيان من النبىِّ ﷺ على ضَربين :

بيانٌ لمُجمَل فى الكتاب الحكيم ، كبيانه للصَّلوات الخمس فى مواقيتها وسجودِها وركوعِها وسائِر أحكامها .

عن حسَّان بن عطيَّة قال : « كان جبريل عليه السلام ينزلُ على رسول اللَّه ﷺ بالسُّنَّة ، كما ينزلُ عليه بالقرآن ، يُعلِّمه إيَّاها كما يُعلِّمه القرآن » .

وقال الإمام أحمد : « إنَّ السُّنَّة تُفسِّر الكتابَ وتبيِّنُه » .

وبيان آخر : وهو زيادةٌ على حُكْم الكتابِ ، كتحريم نكاح المرأةِ على

= بألفاظه ، ونقلوا إلينا عملَ رسولِ اللَّه وقولَه وإرشادَه ، وكل ما نزل به الوحى بالمعنى وعبَّر عنه رسولُ اللَّه ، وهو السُّنَّة الموضِّحة للقرآن والمفصِّلةُ للأحكام .

عَمَّتها وخالتها ، وتحريمِ الحُمُرِ الأهليَّة ، وكلِّ ذى نابٍ من السِّباع ، والقضاء باليمين مع الشَّاهد ، وغير ذلك .

قال الإمامُ الشافعىُّ ﷺ : قد وضع اللَّهُ رسولَه ﷺ من دينه وفَرْضِه وكتابِه الموضعَ الذى أبان جَلَّ ثناؤه : أنه جعله عَلَمًا لدينه ، بما افترَض من طاعته ، وحَرَّمَ من مَعْصيته ، وأبان من فضيلته ، بما قَرن بين الإيمانِ برسوله مع الإيمانِ به سبحانه وتعالى ، فقال تبارك وتعالى : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ﴾ .

[النساء : ١٧١] .

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ﴾ . [النور : ٦٢] .

فجعل سبحانه كمالَ ابتداءِ الإيمان الذى ما سِواه تَبَعٌ له الإيمانَ باللَّه ثم برسوله معه .

قال[١] : فرض اللَّهُ على الناس اتِّباعَ وَحْيه وسُنن رسولِه ، فقال فى كتابه : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ . [آل عمران : ١٨٥] . مع آيٍ سِواها ، ذكر فيهنَّ الكتابَ والحِكمة .

قال : فَذَكَر اللَّهُ الكتابَ وهو القرآن ، وذَكَرَ الحكمةَ ، فسمعتُ مَنْ أرضاه من أهل العِلم بالقرآن يقول : الحِكمةُ سُنَّةُ النبىِّ ﷺ .

وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن

---

(١) أى الإمام الشافعى .

تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ . [النساء : ٥٩] .

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ يعنى اختلفتم فى شىء ، والمراد - واللَّه تعالى أعلم - هم وأمراؤهم الذين أُمِروا بطاعتهم ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ ، يعنى - واللَّهُ تعالى أعلم - إلى ما قال اللَّه والرَّسول .

قال الشافعيُّ : فأَعْلَمَهُمْ أن طاعةَ رسولِ اللَّه ﷺ طاعتُه سبحانه ، فقال : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾ . [النساء : ٦٥] .

وإليكم حديثٌ باطل وضعه المُبطلون للإفساد :

أمّا ما رواه بعضُهم أن النبىَّ ﷺ قال : « **إذا جاءكم الحديثُ فاعْرِضوه على كتاب اللَّه ، فإن وَافَقه فخذُوه ، وإن لم يُوافِقْه فاتركُوه** » .

فإنه حديثٌ باطلٌ لا أصلَ له .

قال البيهقىُّ : إن هذا الحديثَ ينعكسُ على نفسه بالبُطلان ، فليس فى القرآن دلالةٌ على عَرْض الحديثِ على القرآن ، أى إذا بيَّن الرَّسُولُ حُكمًا ليس له لفظٌ فى القرآن وجب علينا الأخْذُ به ، والعملُ بمُقتضاه ، كما فى تحريم الحُمُرِ الأهليَّة ، وتحريم الجمْع بين المرأةِ وخالتها أو عمَّتها فى الزَّواج وغير ذلك من الأحكام التى بيَّنتها السنَّة بأمر اللَّه تعالى وتعليمه نبيَّه .

لزوم الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة :

روى ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما أن رسولَ اللَّه ﷺ خطب الناسَ فى حَجَّة الوَداع فقال : « إنِّى قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتُم به فلن تَضِلُّوا أبدًا ، أمرين اثنين : كتابَ اللَّه وَسنَّةَ نبيِّكم ، أيُّها الناسُ ، اسْمَعُوا ما أقول لكم تَعيشوا به » .

وهذا الحديثُ ورد بعباراتٍ متعدِّدةٍ ، وكلُّها تحضُّ المسلمين على التمسُّك بالكتاب وبالسُّنَّة .

وعن أنس بن مالكٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن أحيا سُنَّتى فقد أحبَّنى ومن أحبَّنى كان معى فى الجَنَّة » .

وعن المُطَّلب بنِ حَنطب أن رسولَ اللَّه ﷺ قال : « ما تركتُ شيئًا مِمَّا أمركم اللَّهُ به إلَّا وقد أمرتُكم به ، ولا تركتُ شيئًا مِمَّا نهَاكُم اللَّهُ عنه إلَّا وقد نهيتُكم عنه » .

وحاصل ذلك كلِّه :

* أن طاعةَ رسولِ اللَّه ﷺ طاعةٌ للَّه يقول تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ . [النساء : ٨٠] .

وأخرج البخاريُّ عن أبى هريرة أن رسولَ اللَّه ﷺ قال : « كلُّ أُمَّتى يدخلون الجَنَّةَ إلَّا من أبَى ، قالوا يا رسولَ اللَّه - وَمَنْ يأبى ؟ قال : مَنْ أطاعنى دخلَ الجَنَّةَ ، ومَنْ عصانى فقد أبَى » .

* وأن السُّنَّةَ مع الكتابِ أُقيمت مقامَ البيان عن اللَّهِ ، فهى مُبيِّنةٌ لأحكامه ، ومفصِّلةٌ لُمجْملاته ، كما قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ . [النحل : ٤٤] .

* أن العملَ بالسُّنَّة النبويَّةِ فرضٌ لازم .

قال الإمام أحمدُ بنُ حنبل : « السُّنَّةُ عندنا آثارُ رسولِ اللَّه ﷺ ، والسنَّةُ تفسيرُ القرآن ، وهى دلائلُ القرآن » .

* * * *

* * * *

(١) الإخلاص والعمل الصَّالح سبيل النَّجاة :

عن أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمن عن أبى سعيد رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول : « يَخْرُجُ فيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتكُم مَعَ صَلاتِهِمْ ، وصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ ، وأعمالَكُمْ مع أعْمَالِهِمْ ، يَقْرؤون القُرْآنَ ولا يُجاوزُ حَناجِرَهُمْ ، يَمْرُقُون[١] من الدِّينِ مُروقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، تَنظُرُ فى النَّصْلِ فلا تَرَى شَيْئًا وتَنظُرُ فى القِدْح[٢] فلا تَرَى شيئًا ، وتنظُرُ فى الرِّيشِ فلا تَرَى شيئًا ، وتَتمارَى فى الفُوقِ[٣] » . [رواه مالك فى الموطأ] .

(٢) اسألوا اللَّه يا أهل القرآن :

عن عمران بن حُصَين رضي الله عنهما : أنه مرَّ على قارئ يقرأ ، ثم سألَ فاسترجَعَ - أى قال : لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّه - ثم قال : سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول : « مَن قَرأ القرآنَ فَلْيسألِ اللَّهَ به ، فإنه سيجيءُ أقوامٌ يقرأون القرآنَ يسألونَ به الناسَ » . [أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن] .

(٣) ومَثَلٌ :

عن جُندب بنِ عبدِ اللَّه البَجَلىِّ رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « مَثَلُ العالمِ الذى يُعلِّمُ الناسَ الخيرَ ، وينسَى نفسَه ، كمثَل السِّراجِ يُضىءُ للنَّاس ، ويَحْرِقُ نفسَه » . [أخرجه الطبرانى فى الكبير] .

* * * *

---

(١) يمرقون : يخرجون بسرعة .

(٢) القِدْح : خشب السهم .

(٣) الفُوق : موضع الوتر ، أى يتشكّك هل علق به شىء من الدم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ .

[سورة النساء]

* * * *

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ .

[سورة النور]

القسم الثالث

* القرآن الكريم هُدًى ونور وشفاء لِمَا فى الصدور .
* الرسول محمَّد ﷺ يُوصينا .
* فضلُ قراءةِ القرآنِ والعمل به .
* منزلةُ قارئ القرآن الكريم وحامِله .
* منثوراتٌ من الدُّرَر المأثورات .
* استذكارُ القرآنِ وتَعاهُده .
* مجالان للخير .

* * *

* * *

حبُّك سورةَ الصَّمَدِ أدخلَكَ الجَنَّةَ :

بعث النَّبىُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم رجلًا على سَرِيَّة :

وكان يقرأ لأصحابِهِ فى صلاتهم فيخْتمُ بقُل هو اللَّهُ أحدٌ .

فلمَّا رجعوا ذكروا ذلك للنَّبِىِّ ﷺ ، فقال : « سلُوه لأىِّ شىءٍ يصنعُ ذلك ، فسألوه ، فقال : لأنَّها صِفَةُ الرَّحمٰنِ ، وأنا أُحِبُّ أنْ أقرأَ بِها » .

فقال النَّبِىُّ ﷺ : « أخبِرُوه أنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ » .

[أخرجه الشيخان والنَّسائىُّ والراوى أمُّ المؤمنين عائشة رضى اللَّهُ عنها]

ومن رواية أنس عند البخارىِّ والترمذىِّ :

فقال صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم : « حُبُّكَ إيَّاها أدخلك الجَنَّة » .

* * *

القرآنُ الكريمُ هُدًى ونُور
وشفاءٌ لِمَا فى الصدور

(١)

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)﴾ .

[الكهف : ١ - ٥] .

اللّهُ عزَّ وجلَّ له الحمدُ فى الأولى والآخرة ، وهو سبحانه المحمودُ على كلِّ حال ، وقد حَمِدَ سبحانه وتعالى نفْسَه على إنْزالِه كتابَهُ العزيزَ على رَسوله الكريمِ محمدٍ صلواتُ اللّهِ وسلامُه عليه ، فإنه أعظمُ نعمةٍ أنعمها اللّه على أهل الأرضِ ، إذْ أخْرَجهمْ من الظلمات إلى النورِ ، حيث جعلَه كتابًا مستقيمًا لا اعوجاجَ فيه ، ولا زيغَ ، بل يَهدى إلى صراطٍ مستقيمٍ ، وجعله بيّنًا واضحًا جليًّا ، نذيرًا للكافرين ، وبشيرًا للمؤمنين ، ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ .

أى : لم يجعلْ فيه اعوجاجًا ولا زيغًا ولا ميلًا ، بل جعله معتدلًا مستقيمًا ولهذا قال : ﴿قَيِّمًا﴾ وفى سورة الأنعام : ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ﴾ أى مستقيمًا ، نَفَى عنه العِوَجَ ، وأثبتَ له الاستقامةَ ، وجَمع بينهما - وفى أحدهما غِنًى عن الآخر - لفائدةٍ ، وهى التأكيد ، فرُبَّ مستقيم مشهودٍ له بالاستقامة ، ولا يخلو من أدنى عِوَجٍ عند السَّبْر والتصفُّح .

وفى حَمْدِ اللَّهِ نفسَه على إنزاله القرآنَ الكريمَ تعليمٌ لعباده كيف يُثْنون عليه سبحانه وتعالى ، ويحمَدونه على أجزلِ نعْمائِه عليهم ، وهى نعمةُ الإسلام وما أنزل على عبدِه محمدٍ ﷺ من الكتاب الذى هو سببُ نجاتهم وفوزِهم .

بهداية القرآن يسمو الفرد وتزدهر الأمّة :

إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ أنزل القرآنَ الكريمَ على قلبِ خاتمِ النبيِّين ﷺ لهدايةِ الناسِ إلى الحق ، ولإرشادهم لأقوم الطرقِ وأوضح السُّبل ، وليخرجَهم من ظلمات الجهلِ والكفرِ إلى نور الإيمانِ والعلمِ ، قال تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ . [المائدة : ١٥، ١٦] .

أنزل اللَّهُ القرآنَ الكريم ليرشدَ النَّاس إلى العقائدِ الصحيحةِ التى تُطَهِّر القلبَ من رِجْس الخضوع لغير اللَّه ، وإلى العلومِ النافعةِ التى تَقِيهم شرَّ الأوهام وتُبعدُهم عن الأباطيل ، وترشدهم إلى الأخلاق الفاضلةِ التى تحفظُهم وتحفظُ مجتمعَهُمْ من مزالق الهَوى والشَّهوات ، ويُرشدهم كتابُ اللَّه إلى الأعمالِ الصالحةِ التى تسمو بالفرد وبالمجتمعِ إلى مكانة العزَّةِ والكرامة ، ووضَع لهم أفضلَ قواعدَ للمعاملاتِ والأحكام التى تُحقِّق للفرد وللجماعةِ التعاونَ على الخير ، وتضْمنُ الأمنَ والطمأنينة ، وتبعث على الرقىِّ الماديِّ والمعنويِّ ، وقد أرشد القرآنُ الكريم إلى هذه الغايةِ الكريمةِ فى كثير من الآيات :

قال تعالى فى سورة الإسراء : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ

أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ . [آية : ٩، ١٠] .

فالقرآنُ الكريمُ يَهدينا لأوضح السُّبلِ : فى العقيدة ، وفى العبادات ، والمعاملات ، وفى الفضائلِ والأخْلاق ، ويبشِّرُ الذين آمنوا به ، وعملوا الصَّالحات على مقتضاه : ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أَمَّا المعْرِضون عنه الجاحدون له فلهم فى الآخرة عذابٌ أليم .

ويقول تعالى فى سورة يونس : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ . [آية : ٥٧] .

وبذلك كان القرآنُ الكريم شافيًا لأمراض القلبِ التى تُفْسد على الإنسانِ حياتَه ، وإنَّ أمراضَ القلب : جهلٌ بالحقِّ ، وشُبْهَةٌ تُضْعِف الإيمانَ ، وشهْوةٌ تُغْرى بالفساد ، وقد تضمَّن القرآنُ ما يُعالج البشريَّةَ من جهلها ، وشُبَهِها ويُطَهِّرُها من أدرانِ الشهواتِ والأهواء .

مع القرآن الحياةُ فى الطَّريق الصَّحيح :

ولقد آمنَ المسلمون الأولون بأنَّ القرآنَ الكريم هو الشفاءُ لأمراض القلوب ، والمنقذُ من الحيرة والضلال ، والهادى إلى صراط مستقيم لا عِوَجَ فيه ولا انحراف : فأقبلُوا على تلاوة القرآن وتدبُّره وحفظِه ودَرْسِهِ يستخرجون نفائسَهُ ، ويتعرَّفون حِكَمَه وأحكامه وعِبَرَهُ ومَوَاعِظَه ، ثم أخذوا يعالجون به القلوبَ من رِجْس العقائدِ الباطلة ، والأخلاقِ الفاسدة ، ويدفعون به المجتمعَ إلى سبل الخيرِ ومراقى الفلاح ، وطرقِ السعادةِ فى الدُّنيا ، وإلى أسباب الفوزِ والنَّجاةِ فى الآخرة .

ولهذا سجَّل لهم التاريخُ حياةً نقيَّة طاهرة هى مَضرِبُ الأمثالِ فى : صحَّة العقيدةِ ، وصدق الإيمان ، وفى سلامةِ اليقين وحبِّ الخير ، والإقبالِ على

العمل الصالح ، والانتفاعِ بما أودع اللَّهُ فى الكون من أسرار ولا غَرْوَ : فهم خيرُ أمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس ، وما ذلك إلَّا بفضل إيمانهم وصدقِهم وحبِّهم للَّه ورسولِه ولكتابِ اللَّه عزَّ وجلَّ ، وإقبالِهم على القرآن يتدبَّرونه ويحفظونه ، ويستنبطون أحكامه ، ويعملون به ، ويهتدون بهديه ، ويدعون الناسَ إلى الإيمان به ، وينهَوْنَهم عن الكُفر ، والزَّيغ والإلحادِ وعن كلِّ منكر .

من وصيَّة رسولِ اللَّه ﷺ لأبى ذرٍّ قال : « عليكَ بتلاوة القرآنِ ، فإنه نورٌ لكَ فى الأرض وذُخرٌ لك فى السماء » . [أخرجه ابن حبان فى صحيحه] .

* * * *

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ .

[سورة المائدة : ١٥، ١٦]

(٢)

قال اللّه تعالى فى سورة الإسراء : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ . [آية : ٨٢] .

اللّهُ عزَّ وجلَّ أَرسل رسولَهُ محمدًا ﷺ بالهُدى والنور والرحمةِ والحكمةِ ، والموعظةِ الحسنة ، والعلمِ النافعِ ، وأنزل عليه القرآنَ الكريمَ وهو كلامُ اللّه الذى لا يأتيه الباطلُ من بينِ يَدَيْه ولا مِنْ خَلْفِه ، يهدى للطريقِ الأقومِ والصِّراطِ الأعدلِ ، فيه نورٌ للبصائر ، وهدايةٌ للعقول ، وشفاءٌ لِما فى الصدور ؛ شفاءٌ من الجهلِ ، وإن أعظمَ الجهلِ هو عدمُ المعرفةِ باللّه عزَّ وجلَّ وبما يَليقُ به سبحانه وتعالى من صفات الكمال ، ونُعوتِ الجلالِ والجمالِ .

شفاءٌ وطهارةٌ ورحمة للإنسان :

فمَن آمنَ بالقرآن ، وصدَّقه ، واتَّبعه ، واهتدى بهديه شَفى اللّه صدرَه من الآفات المُهلكةِ : كالغلِّ ، والحِقدِ ، والحسدِ ، وإضمارِ السُّوء للمؤمنين وأذْهَبَ ما فى قلبِه من أمراضٍ : من شَكٍّ ونفاقٍ ، وشِرْكٍ ، وزيْغٍ ، وميلٍ عن الهُدى .

إن القرآنَ الكريمَ يَشْفى من ذلك كلِّه ، وهو أيضًا رحْمةٌ ؛ لأن به يحصلُ الإيمانُ وتَقْوى الرغبةُ فى الخير ، ويفوز المؤمنون به ، المصدِّقون بما فيه ، العاملون بأوامره ، الواقفون عند حدوده ، يفوزون برضوانِ اللّه وجنَّته ؛ يقول سبحانه وتعالى من سورة فُصِّلت : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ .

[آية : ٤٤] .

من حقوق القرآن علينا :

إن للقرآن الكريم علينا حقوقًا ينبغى لنا أن نَفِى بها ؛ حتى نكونَ أهلًا لرحْمة اللَّه ورضوانِه : فمن حقِّ القرآن علينا أن نَحضُرَ مجالسَه ، لنستمعَ إليه يُتْلى فى خشوعٍ وإنصاتٍ وتدبُّر ، وأن نتدارسَه ، ونسألَ عَمَّا نجهلُه من أحكامه ، ونتلمسَ عِبَرَهُ وعظَاتِه ؛ لتَرْدَعَ النفسُ عن غيِّها ، وتسلكَ الصراطَ المستقيم :

يقول الحبيبُ المصطفى ﷺ : « . . . وما اجتمع قومٌ فى بيتٍ من بيوتِ اللَّهِ يتلُون كتابَ اللَّهِ ويتدارسُونه فيما بينهم إلَّا نزلتْ عليهم السكينةُ ، وغَشِيَتْهم الرحْمةُ ، وحفَّتْهُم الملائكةُ ، وذَكَرهم اللَّهُ فيمَنْ عنده » .

[رواه أبو هريرة وأخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما] .

والمستمعُ إلى القرآنِ فى خشوع وإنصاتٍ تُسْرِعُ إليه رحْمةُ اللَّهِ ورضوانُه يقول اللَّيث : يُقال : « ما الرحْمةُ إلى أحد بأسرَع منها إلى مستمعِ القرآنِ » .

يقول اللَّه عزَّ وجلَّ : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ [الأعراف : ٢٠٤] . ولعلَّ من اللَّه واجبة .

ومن واجبنا :

ومن حقِّ القرآنِ الكريمِ علينا أن نوَقِّرَه ، ونُعوِّدَ أولادَنا على توقيرِه والعنايةِ بأمره ، والعملِ بما فيه ، ومَنْ حَفِظَه ، وفَهِمَ منه ما استطاع ، عليه أن يُعَلِّمَ غيرَه ، وأن ينشُرَ خيرَه بين الْمُؤمِنينَ ، فهذا من أشرفِ الأعمال ، وأعظم المنافع للفرد والجماعة ، والحبيبُ الهادى ﷺ يبيِّنُ لنا مكانةَ حاملِ القرآنِ العاملِ بِما فيه فيقول ﷺ : « أشرافُ أمَّتى حملةُ القرآن » .

وتلك منزلةٌ ما بعدها منزلة . إنها منزلةُ الحافظِ العاملِ المخلصِ لكتاب اللَّه عزَّ وجلَّ ، الذى شَغل قلبَهُ ولسانَه بأفضلِ الكلام ، وأنفعِه وأعظمه وأكثرِه

خيرًا وبركةً فى الدُّنيا والآخرة ، ففى الحديث : « إنَّكم لا ترجعُون إلى اللَّهِ بشىءٍ أفضلَ مِمَّا خرجَ منه » . يعنى القرآن .

[رواه أبو ذرٍّ ﷺ وأخرجه الحاكم وصححه] .

أنيروا البيوتَ بتلاوة القرآن :

وقد حثَّنا الحبيبُ الهادى ﷺ على إنارة بيوتنا بتلاوة القرآنِ الكريم ولنتدبَّر قولَه ﷺ : « ألا إن أصفرَ البيوتِ ، بيتٌ صَفِرٌ من كتاب اللَّه » أى إن أكثر البيوتِ خُلوًّا من الخير والبركةِ ، هى البيوتُ التى تخلو من أعظمِ النِّعم والبركات وهو كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ ، وفى لفظ : « إن أصْغَر البيوتِ بيتٌ ليس فيه شىءٌ من كتاب اللَّه » . [عند الحاكم موقوفًا على ابن مسعود ﷺ وقد رفعه بعضهم] .

وإن القلبَ المحروم من قراءة القرآن لهو محرومٌ من أعظم البركات ، ومن أجلِّ النِّعم ، ولذا شبَّهه الرسولُ ﷺ بالبيت الخرِب فى وحشته وظلامه : يقول الحبيب الهادى ﷺ كما روى ابن عباس وأخرجه الترمذىُّ والحاكم : « إن الذى ليس فى جوفه شىءٌ من القرآن كالبيتِ الخَرِبِ » والبيتُ الخرب هو المجرَّدُ من الحياة ، ومن الأحياء ، ومن المتاع ، ومن النور فهو أطلالٌ وجُدران لا تؤدِّى وظيفتَها ، ولا تتحقَّقُ منها فائدتُها .

وقد شبَّه الرسولُ بها ذلك الإنسانَ الذى حَرَم نفسَهُ من بركة القرآنِ فلم يحفظْ منه شيئًا ، وإنَّ الرسولَ ﷺ بهذا يُحذِّر كلَّ مؤمنٍ أن يباعدَ بين نفسه والقرآنِ الكريم .

كتابنا نورُنا وهادينا :

إن القرآنَ الكريمَ هو كلامُ اللَّه عزَّ وجلَّ ، نزل به الرُّوحُ الأمين على قلب خاتم النبيِّين محمد بنِ عبدِ اللَّهِ ﷺ ، يُرشِدُ للَّتى هى أقومُ ، ويُنقذُ من الحَيرة

ويَهدى من الضَّلالة ، ويعلِّم النَّاسَ حقَّ خالِقهم فى أعناقهم وواجباتهم نحو ربِّهم ، ويبيِّن لهم الحلالَ والحرامَ ، ويرسمُ سبيلَ الفوزِ والنَّجاة والسَّعادة فى الدَّارين .

أحلَّ السلَفُ الصالحُ حلالَه ، وحرَّموا حرامَه ، وعَمِلوا بمُحْكَمِه وآمَنوا بمُتشَابِهه ، ووقفوا عندَ حدودِه ، وتزيَّنوا بفضائله ، وتجمَّلوا بآدابه فنصرهم اللَّهُ وأيَّدهم ، وأمدَّهم بعوْنه فى كل مِحنة ، وأنزل عليهم جنودَه فى كلِّ شِدَّةٍ ، فكانوا دعاةً للخير ، وهُداةً إلى البِرِّ ، وسندًا للعدل والسلام مُبشِّرين بالإخاء والمحبةِ فى كلِّ مكان .

أضاء القرآنُ الكريمُ صدورَهم ، وعقولَهم ، وبصائرَهم ، فأناروا الدنيا بمبادئه العادلة ، وقوانينِه الحكيمة ، وحِكَمِه وأحكامه .

فطُوبى لِمنْ أحبَّ اللَّه ، وأحبَّ رسولَه ، وأحبَّ كتابَ اللَّه .

طوبى لِمنْ لم يَغفُل عن هذا الخير العميم والنفعِ العامِّ ، وقد رجع إليه رشدُه ، واعتصم بكتابِ ربِّه يتدبَّرُه ، ويَهتدى بهدْيه سائلًا ربَّه غُفرانَ الذنبِ وقبولَ التَّوب .

الأغْنَى هو حافظُ القرآن الفائز برضوان اللَّه :

إن القرآنَ غِنًى لا فقرَ بعده ، ولا غِنَى دُونه : كما أرشدنا الرسولُ ﷺ فمن حازه عِلْمًا وعملًا فقد حاز أعظمَ النعم .

والقرآنُ يشفع لصاحبِه يوم القيامةِ ، ويرفعُ درجاتِهِ فى جنَّات النعيم ، أمَّا المُعْرضُ عنه عدمَ مبالاةٍ به فإنَّه يُدْفَعُ فى قفاه إلى النار ، ولنتدبَّرْ قولَ الحبيب المصطفى ﷺ فيما رواه عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه : « إن هذا القرآنَ شافعٌ مشفَّعٌ ، من اتَّبعه قاده إلى الجنَّة ، ومَنْ تَرَكه أو أَعْرَضَ عنه دُحَّ - أو زُجَّ- فى

قفاه إلى النَّار - أى دُفِعَ بعُنْف » . [أخرجه الطبرانى فى الكبير] .

وفى الحديث الذى أخرجه مسلم ورواه أبو أمامة الباهلىُّ ﷺ : « اقرأوا القرآنَ فإنه يأتى يومَ القيامة شفيعًا لأصحابه » .

نسأل اللَّه عزَّ وجلَّ أن يُوفقنا لحفظ كتابه ، وأن يُذكِّرنا ما نسيناه منه ، وأن يفقِّهَنا ويعلِّمَنا أحكامَه ، ويرزقَنا الإخلاص والعملَ بها ، وأن يجعل القرآنَ نورَ حياتِنا على هَدْيِه نسير ، وأن يباعدَ بيننا وبين مخالفته كما باعد بين المشرق والمغرب .

يا ربِّ . . نحن نقف على بابك خائفين راجين . . نسألك الأمن مِمَّا نخاف ، وتحقيقَ الأمل والرجاء فى عفوك ورحمتك ، وأنت الرحيم الغفور التَّوابُ فارحْمنا وتُبْ علينا واغفِرْ لنا . . وصلِّ وسَلِّم على نبيِّك الهادى الحبيب وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى أن يقومَ الناسُ لربِّ العالمين .

* * * *

تنبيه من الغفلة :

قال أبو أيوب الأنصاريُّ : خرج علينا رسولُ اللَّه ﷺ ، وهو مرعوبٌ ، فقال : « أطيعونى ما كنتُ بين أظْهُرِكم ، وعليكم بكتابِ اللَّه ، أحِلُّوا حلالَه ، وحَرِّموا حرامَه » . [رواه الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات] .

حديث شريف :

القرآن نور فى البيوت :

« لا تجعلوا بيوتَكُم مقابِرَ : إنَّ الشَّيطانَ يَفِرُّ من البيت الذى تُقرأُ فيه سورة البقرة » . [أخرجه مسلم والنَّسائىُّ والترمذىُّ ورواه أبو هريرة]

الرسولُ محمدٌ ﷺ يُوصينا

عن طلحةَ بنِ مُصَرِّف قال : « سألتُ عبْدَ اللَّه بنَ أبى أَوْفَى رضي الله عنهما : هل كان النبىُّ ﷺ أَوْصَى ؟ فقال : لا ، فقلتُ : كيف كُتِبَ على الناس الوَصيَّةُ ، أوْ[١] أُمِرُوا بالوصيَّة ؟ قال : « أَوْصَى بكتاب اللَّه »[٢] .

وفى لفظ : سُئل عبدُ اللَّه بن أبى أَوْفَى : أَوْصَى النبىُّ ﷺ[٣] ؟ قال : لا .

قال السائلُ : فكيف كُتِبَ على النَّاس الوصيَّةُ ، أُمِرُوا بها ، ولم يُوصِ ؟ قال : « أَوْصَى بكتابِ اللَّه عزَّ وجلَّ » .

حقًّا إنها الوصيَّة التى جمعت للمُوصَى له إلى يوم الدِّين خيرَ الدُّنيا ، ونعيمَ الآخرة !! .

حَدَّث سفيانُ عن عبدِ العزيز بن رفيع قال : دخلتُ أنا وشدَّادُ بنُ معقل على ابن عباس ، فقال له شدَّادُ بنُ معقلٍ : أَتَرك النبىُّ ﷺ من شىء ؟ قال : « ما ترك إلَّا ما بين الدَّفَّتين » ، قال : ودخلنا على محمدِ بنِ الحنفيَّة ، فسألناه فقال : « ما ترك إلَّا ما بين الدَّفَّتين » .

ومعناه : أنه عليه الصلاة والسلام ما ترك مالًا ولا شيئًا من متاع الدُّنيا يُورَثُ عنه .

ولكنه صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم بلَّغ الرسالةَ الإلهيَّةَ كاملةً ، وأدَّى أمانةَ

---

(١) « أوْ » شكٌّ من الراوى فى أى اللَّفظين قال .

(٢) إنما سأله عن الوصية فى المال فقال : لا ، وذلك لأن ما تركه النبىُّ ﷺ لا وارثَ له : « نحن معاشرَ الأنبياء لا نُورَث ما تركناه صدقة » فلمَّا اعترض المعترض عليه بفرْض الوصية أو بالأمر بها قال : أوصى بكتاب اللَّه ؛ لأنه الموروثُ بعده إلى يوم القيامة .

(٣) أى : أأوصى وهمزة الاستفهام محذوفة .

الوحْى دونَ نَقْصٍ ، أو سَهْوٍ ، أو نسيانٍ ، وتَرَكَ لنا كلامَ اللّه عزَّ وجلَّ فى الصُّدور ، وبين دَفَّتَيِ المُصْحف ؛ وذلك هو أعظمُ وأنفعُ المواريثِ للنَّاس جميعهم ، وفيه خيرُهم ، وبه فوزُهم ، وبالعمل به أمنُهم واستقرارُهم وطُمأنينةُ قلوبهم ، وخيرُ الوحْى باقٍ لهم جميعًا فى الدُّنيا وفى الآخرة ، أمَّا متاعُ الدُّنيا ، فإلى انقضاءٍ ولا بقاء .

ميراث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم :

ومَرَّ أعرابىٌّ على عبد اللّه بنِ مسعود وعنده قوم يقرؤون القرآنَ فقال : ما يصنع هؤلاء ؟ فقال ابن مسعود : (يقتسمون ميراثَ محمد ﷺ) وفى حديث أبى الدرداء عند البيهقى وأبى داود وغيرهما : « إن الأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهمًا ، ولكنَّهم ورَّثُوا العلمَ ، فمَنْ أخذَه أخذَ بحظِّه » ولهذا قال ابنُ عباس : وإنَّما ترك ما بين الدَّفَّتين يعنى : القرآن ، والسنَّة مُفسِّرة له ومبيِّنة وموضِّحة ، أى تابعة له ، والمقصود الأعظمُ هو كتابُ اللّه تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ . [فاطر : ٣٢] . فالأنبياء عليهم السلام لم يُخْلَقُوا للدُّنيا يَجْمَعُونها ، ويُورِّثونها ، وإنَّما خُلِقُوا للآخرة يَدْعُون إليها ، ويرغِّبون فى العمل الصَّالح ليفوزوا فيها برحمةِ اللّه ورِضوانه ، وبالخلودِ فى جنَّات النَّعيم ، **ولهذا قال رسول اللّه ﷺ : « ما تَرَكْنَاهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ »** .

إنَّ الحبيبَ المصطفى ﷺ : وهو أعلمُ الناسِ بالقرآن ، يدعو أمَّته إلى الخير والهُدى ، ويُوصى المُؤمنين بكتاب ربِّهم ، يُوصيهم بتدبُّرِه ، وتوقيرِه ، وبتعليمِه ، وتعلُّمِه ، وحِفْظِه ، وتدارُسِه ، والعملِ بما جاء فيه ، والتحلِّى بفضائلِه وتطبيقِ أحكامه ، والمداومةِ على تلاوتِه ، واحترام المجلسِ الذى يُتْلَى فيه القرآنُ .

ثواب تلاوته وتدارسه عظيم :

يدعونا الحبيبُ المصطفى ﷺ للإقبال على كتاب اللَّه نتلُوه ، ونتعلَّمُ منه ونتَّبعُ ما فيه ، ونتمسَّكُ به عملًا وتطبيقًا ، فيقول : « **إنَّ هذا القرآنَ مأدُبةُ اللَّه : فتعلَّموا من مأدُبته ما استطعتُم ، إنَّ هذا القرآنَ حبلُ اللَّه ، وهو النورُ المُبين والشِّفاءُ النَّافع ، عِصمةٌ لِمن تمسَّك به ، ونجاةٌ لِمن اتَّبعه ، لا يَعْوجُّ فيُقوَّم ، ولا يَزيغ فيُسْتَعتَبُ ، ولا تَنْقضِى عجائبُه ، ولا يخلُق من كثرة الردِّ ، فاتلُوه فإن اللَّه يأجُركم على تلاوته بكل حرفٍ عشرَ حسناتٍ ، أمَّا إنى لا أقول : ألم ، حرف ، ولكن ألف عشر ، ولام عشر ، وميم عشر** » .

وفى رواية : « ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

[رواه ابن مسعود وأخرجه الحاكم] .

ومأدُبة : بضم الدَّال معناها الصنيعُ يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس ، وقد شَبَّه الرسولُ ﷺ القرآنَ بصنيع يصنعُه اللَّه عزَّ وجلَّ للنَّاس ، لهم فيه خيرٌ ومنافع ، ثم دعاهم إليه :

القرآن أعظمُ عطاءٍ ومنزلةُ الحافظ العامل عظيمة :

وإن من أُعطى القرآنَ ، فقد أُعْطِى الخيرَ كلَّه ، فالقرآنُ أعظمُ ثروةٍ ، ومَنْ كان يحفظُ القرآن لا ينبغى له أن يشكُوَ الفقرَ ، فإن القرآنَ غِنًى لا فقرَ بعده ، ولا غِنى دونه ، ومَنْ قرأ القرآنَ وحفظه ورأى أن أحدًا من النَّاس حاز أفضلَ مِمَّا عنده فقد أساء الرأى والفكر ، يقول الحبيب المصطفى ﷺ من حديث شريف : « **ومَنْ قرأ القرآنَ فرأى أن أحدًا أُعطِى أفضلَ مِمَّا أُعطِى فقد عَظَّم ما صغَّرَ اللَّه وصَغَّر ما عظَّم اللَّه ، وليس ينبغى لحامل القرآنِ أن يسْفَهَ فيمَنْ يسْفَه أو يغضَبَ فيمَنْ يغضَب ، أو يحتَدَّ فيمَن يَحْتدُّ ، ولكن يعفو ، ويصفحُ ، لفضل القرآن** » .

فما أجملَ أخلاقَ حافظِ القرآن ، المتأدِّب بآدابه ، إنه بين النَّاس بلْسَمٌ فيه طبٌّ ودواء . فهل نتدبَّر ؟

إنَّ القرآنَ أعظمُ نعمةٍ للَّه على عباده ، ومن وفَّقَهُ اللَّه لحفظه وتدبُّره والعملِ به ، والاهتداءِ بهديه ، فإنَّ كلَّ ما فى الدنيا من متاع وزينة دون ما عنده ، ولا تُقَارَن بِما أعطاه اللَّه للحافظ الصَّالح ، ووفَّقه إليه ، من النعم العظام والفضائل السَّامية الثابتة .

وفى هذا الحديث الشَّريف توجيه نبوىٌّ كريم لِمَا ينبغى لحافظ القرآن أن يكون عليه من : الخُلق الرَّضى ، وسَعةِ الصدر ، والحِلمِ ، والوقار ، والرَّزانةِ والقناعة ، فهو لا يُخالط السُّفهاء ، ولا يشاركُهم بذاءةَ اللِّسانِ وسوءَ المقال ، وضعفَ الأخلاق ، وهو أيضًا ينبغى له ألَّا يستفِزَّه الغضبُ اقتداءً برسول اللَّه ﷺ ، فقد كان عليه السلام حليمًا ، وما انتقم لنفسه قطُّ ، وما ضرب بيده أحدًا ولا شيئًا إلَّا أن يضربَ فى سبيل اللَّه ، كما يتحلَّى قارئُ القرآنِ بلينِ الجانب ، وسُهولةِ الخُلق ، والرِّفقِ فى أموره كلِّها ، فلا يبالغُ فى خصومة ، ولا يحتدُّ على أحد ، ولا يقابل السيئةَ وهفواتِ الإخوانِ بمثلها ، بل يعفو ويتجاوز ، ذاكرًا دائمًا أنه قارئُ كتابِ اللَّه ، وأنه متزيِّنٌ بفضائله ومُتحلٍّ بآدابه ، وأن الوقار ينبغى أن يكونَ سِمَةً دائمة لحامل كتابِ اللَّه .

فَطُوبى لِمن انتفع بوصايا الحبيب المصطفى ﷺ ، طوبى لِمن يُقبِل على كتاب اللَّه ، يتلوه ، ويتدبَّره فى خشوع ، ويجتهد فى الحِفظ والفهم والعمل به ، وطوبى لمن ينفع غيره ، ويجمع القلوبَ على محبَّة كتاب اللَّه وحُسْن تلاوته .

طوبى لمن إذا سَمِع كلامَ اللَّه يُتلى تأدَّبَ وخشع وانصتَ ، ليكون أهلًا لرحْمة اللَّه عند ذلك ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ .

ويقول الحبيب المصطفى ﷺ مبيِّنًا فضلَ الاسْتماع والتِّلاوة : « مَن اسْتَمعَ إلى آيةٍ من كتابِ اللّه كُتِبَتْ له حَسَنةٌ مُضَاعَفةٌ ، ومَنْ تَلاها كانت له نورًا يومَ القيامةِ » . [رواه أبو هريرة وأخرجه أحمد] .

ومن واجب المؤمن- الرجل والمرأة- أن يُعْطِيَ عينيه حظَّهما من كتابِ اللّه عزَّ وجلَّ ، وإن كان حافظًا ، فللعينين عبادةٌ ، وعبادتُهما النَّظرُ فى القرآنِ الكريم وتدبُّر آياته : قال رسول اللّه ﷺ : « أعطُوا أعينَكُمْ حظَّها من العبادة » . قالوا : يا رسولَ اللّه وما حظُّها من العبادة ؟ قال : « النظرُ فى المصحَفِ ، والتفكُّرُ فيه ، والاعتبارُ عندَ عجائبِه » .

وقال عقبةُ بن عامر رضى اللّه عنه : عَهِد إلينا رسولُ اللّه ﷺ فى حَجَّة الوَداع فقال : « عليكم بالقرآن » .

اللّهم صلِّ وسلم وبارِك على نبيِّنا الهادى الأمين .

* * * *

حديث قدسى :

قال رسول اللّه ﷺ : « يقول الربُّ تبارك وتعالى : مَن شغله القرآنُ عن مسألتى أعطيتُه أفضلَ ما أُعطِى السائلين ، وفضلُ كلام اللّه على سائر الكلام كفضل اللّه على خلْقه » . [رواه أبو سعيد وأخرجه الترمذى وقال : حديث غريب أى جاء عن طريق صحابىٍّ واحد وهو هنا أبو سعيد الخدرى رضى اللّه عنه]

* * * *

فضْلُ قراءةِ القرآن والعمل به

عن أبى موسى ﷺ عن النبىّ ﷺ قال : قال رسول اللّه ﷺ : **«مَثَلُ المؤْمنِ الذى يقرأ القرآنَ ويعملُ به كالأُتْرُجَّةِ ، طعمُها طيِّبٌ وريحُهَا طيِّب ، ومَثَلُ المؤمنِ الذى لا يقرأ القرآنَ ويعملُ به كالتَّمرة طعمُها طيِّبٌ ولا ريحَ لها ، ومَثَلُ المنافقِ الذى يقرأُ القرآن كالرَّيحانةِ رِيحُها طيِّبٌ وطعمُها مرٌّ ، ومَثَلُ المنافقِ الذى لا يقرأ القرآنَ كالحَنْظَلِة طعمُها مُرٌّ - أو خبيث - ولا ريحَ لها»** .

[أخرجه البخارى ومسلم والنَّسائىّ وابن ماجه وجاء مثله من حديث عن أنس بن مالك عند أبى داود] .

وفى رواية أنس ﷺ عند أبى داود : «مَثَلُ الفاجر» بدل «مَثَلُ المنافق» .

المفردات : الأُتْرُجَّة : ثمرةٌ حلوةُ الطَّعم طيِّبةُ الرائحةِ جميلةُ اللَّون

الرَّيحانة : كلُّ طيبِ الرِّيح كالورد والياسمين والريحان .

الحنظلة : ثمَرُ نباتٍ فى الصحراء مُرُّ الطَّعم ولا ريحَ له .

الفائز العاقل والخائب الأحمق من النَّاس :

فى هذا الحديثِ الشريف صُوَرٌ أربع صَوَّرت موقفَ النَّاس بالنسبة للقرآن :

ففى النَّاس : المؤمنُ الذى يقرأ القرآن ويتدبَّره ، ويعملُ بما جاء فيه ويَتحلَّى بآدابه ، ويقفُ عند حدوده ، فذلك المؤمنُ الصَّادق ، وقد شبَّهه النبىُّ ﷺ بالأترجَّة ، وهى ثمرةٌ حلوةُ الطعم ، طيِّبةُ الرائحة ، حَسَنَةُ اللَّون ، فقارئُ القرآنِ العاملُ بأحكامِه مُتزيِّنُ الباطن والظاهر ، طهَّره القرآنُ وأدَّبه فانتفع الناسُ به ، وكان له تأْثيرُه فيهم ، إذ يستريحُ النَّاسُ لقراءته حين يسمعونه يتلو كتابَ اللّه ، ويُثابون بالاستماع إليه ، ويتعلَّمون منه ، مثل

الأُترجَّة طيِّبةٌ فى ذاتها ، ويستريح النَّاسُ بريحها .

* **ومن الناس** : مَنْ يعملُ بالقرآن ، ويهتدى به وبما فَهِمه من أَحكامه ، ولكنه لا يحفظه ، وبالتَّالى لا يقرؤه ، فهذا تأَثَّر باطنُه ، وهو فى نفسه نقىٌّ صالح ، وقلَّما يتجاوزُه صلاحُه إلى غيره ، لأن أحدًا لا يسمعُ منه تلاوةً لكتاب اللَّه تعالى بسبب عدم حفظِه له ، وقد شبَّههُ الرسولُ الكريم ﷺ بالتَّمرة فى حلاوة طعْمِها من ناحيةٍ - إشارة إلى صلاحه وطهارة باطنِه لالتزامه آدابَ القرآنِ وأحكامَه - ومن ناحية أخرى فى عدم وجود رائحةٍ للتَّمرة وهى المشبَّهُ به - أى أن تأثيره فى غيره قليل .

* **وهناك صِنفٌ ثالث** : يقرأ القرآنَ ولكنَّه لا يعمل به ، ولا يقفُ عند حدودِ أوامرِه ونواهيه ، ولا يهتدى بهدْيه ، وهذا منافقٌ ، ظاهرُه حَسَنٌ ، وباطنُه خبيثٌ ، وهذا هو المُرائى الذى شَبَّهه الرسولُ ﷺ بالرَّيحانة ، فهى طيِّبةُ الرائحة ولكنَّ طعْمَها مُرٌّ ، أى طيبةُ الظاهرِ خبيثةُ الباطن .

والصِّنف الرابع : هو هذا الصِّنفُ من الناس الذى يُعرِض عن كلام اللَّهِ فهو لا يقرأ القرآن ، ولا يتدبَّره ولا يَهتدى بهدْيه ، ولا يُلزِم نفسَه بأداءِ أوامرِه واجتنابِ نواهيه ، فهو لم ينفعْ نفسَهُ ، ولم ينفعْ غيرَهُ ، وجاء تشبيهُه بالحنْظلة فى هذا الحديث لبيان ذلك .

وفى الحديث الشريف السابق بيانٌ لفضيلة قارئ القرآنِ ، وأن المقصودَ من التِّلاوة العملُ ، كما دلَّ عليه زيادة : « ويعمل به » .

وقد وردت الآثارُ فى بيان فضْل تلاوةِ القرآن ، وتدبُّره ، وثوابِ أَهله : فعن أبى سعيد قال : قال نبىُّ اللَّه ﷺ : « **يقال لصاحب القرآنِ إذا دخل الجَنَّة : اِقْرأ وارْقَ واصْعَدْ ، فيقرأ ويصعَدُ بكُلِّ آيةٍ درجةً ، حتى يقرأ آخِرَ شيءٍ معه** » .

قال الخطابىُّ : جاء فى الأثر أنَّ عدَد آى القرآنِ على قدْر دَرَج الجنَّة ، فيقال للقارئ : ارْقَ فى الدَّرَج على قَدْر ما كنتَ تقرأُ من آى القرآن فيكون مُنتهى الثوابِ عند مُنتهى القراءة ، أى الرقىُّ فى الدَّرَج على قدر ما يَحْفَظ .

وفى الحديث الذى رواه عبد اللَّه بن عمرو رضى اللَّه عنهما : « **يقال لصاحب القرآنِ اِقْرَأْ ، وارْق ، ورتِّلْ كما كُنْتَ تُرَتِّلُ فى الدُّنيا ، فإنَّ منزلَك عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤها** » . [أخرجه التِّرْمُذىُّ ، وأبو داود ، وابنُ ماجه ، وابن حبَّان فى صحيحه وقال الترمذىُّ : حسن صحيح]

صاحب القرآن حبيب الرَّحمن :

وإنَّ حَمَلَةَ القرآنِ العاملون به هم أهلُ اللَّه وخاصَّتُه ، لهم مكانتُهم ومنزلتُهم يومَ الدِّين ، فعن أنس بنِ مالكٍ ﷺ قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : «إنَّ للَّه أهلين من النَّاس ، قيل : مَنْ هم يا رسولَ اللَّه ؟ قال : « أهلُ القرآنِ هم أهلُ اللَّه وخاصَّتُه» . [أخرجه النَّسائىُّ وابن ماجه والحاكم] .

وكان أبو عبد الرحمن السُّلمىُّ إذا خَتم عليه الخاتِمُ القرآنَ أجلسه بين يديه ، ووضَع يدَه على رأسه ، وقال له : يا هذا اتَّقِ اللَّه ، فما أَعرِف أحَدًا خيرًا منك إن عَمِلتَ بالذى عَلِمْتَ! .

وفى بيان فضل تلاوةِ القرآنِ وحفْظِه والعملِ به يَروى الحسنُ ﷺ عن النبىِّ ﷺ أنه قال : «مَنْ أَخَذ ثُلُثَ القرآنِ ، وعمِلَ به ، فقد أخذ أمْرَ ثُلثِ النبوَّةِ ، ومَن أخذ نصفَ القرآنِ وعَمِل به ، فقد أخذ أمْرَ نصفِ النُّبوةِ ، ومَن أخذ القرآن كلَّه فقد أخذ النبوَّة كُلَّها» .

وفى هذا الحديث ترغيبٌ فى تلاوة القرآنِ وفى حفظِه ، والتأدُّبِ بآدابه وفيه بيانُ فضْلِ العملِ به .

وصاحبُ القرآنِ يحمل أعظمَ ثروة ، لأنها الثروةُ الباقية الخالدةُ التى تنفع صاحبَها فى الدُّنيا وفى الآخرة ، فعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « القرآنُ غِنًى لا فقرَ بعده ، ولا غِنى دونه » .

ومن حديثٍ شريفٍ رواه عبدُ اللّه بن عمرو ﷺ : «مَنْ قرأ القرآنَ فكأنما استدْرجَ النبوَّةَ بين جَنبيْه غيرَ أنه لا يُوحَى إليه ، لا ينبغى لصاحب القرآنِ أن يَجِدَ مع مَن وَجدَ ، ولا يجهلَ مع مَن جَهِلَ وفى جَوْفِه كلامُ اللّه » .

[أخرجه الحاكم وقال : صحيح الإسناد] .

وأن يجِدَ : معناهَا هنا أى لا يحقد ولا يغضب لتوافه الأمور ، « ولا يجهل » أى لا يَسْفَه ، ولا يُجارِى الحمْقَى ، ولا يعملُ مثلَ عملهم ، فإن صاحبَ القرآنِ يكون حليمًا ، يتروَّى فى الأمور ، ويضعُ الأمورَ فى مواضِعِها الصَّحيحة برؤْيةِ المؤمن الواعى .

فما أَعظمَ فضلَ اللّه على قارئ القرآن ، ومُتدبِّره ، العاملِ بِما فيه المهتدى بهديه .

* * * *

أعوذ باللّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

[سورة المائدة : ٦٧]

منزلة قارئ القرآن الكريم وحامله

عن عائشةَ أُمِّ المؤمنين رضى اللَّه عنها أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « **الذى يقرأُ القرآنَ ، وهو ماهرٌ به ، مع السَّفَرةِ الكرامِ البرَرَةِ ، والذى يقرأُ القرآنَ ويَتَتَعْتَعُ فيه ، وهو عليه شاقٌّ له أجران** » . [رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذىُّ ، والنسائى ، وابن ماجه] .

وفى لفظٍ : « والذى يقرؤُه ، وهو يشتدُّ عليه ، له أجران » .

المفردات :

ماهر به : حافظ له . السَّفرة : الملائكة ، جمعُ سافِرٍ الذى هو الرَّسولُ ، والمَلَكُ هو الذى ينزل بالوحى إلى الرُّسُل ، والبَرَرَةُ : هم أهل الطَّاعة والخير ، والماهر بالقرآن : هو الحاذقُ الكاملُ الحفظ الجيِّدُ التلاوة لشدَّةِ حرصه على مداومة التلاوة وإتقانها .

يتتعتع : أى يتوقَّف فيه لضعفِ حِفظِه ، والتتعتعُ : التردُّد فى الكلام عيًّا وصعوبة ، وإنما كان له أجران من حيث التلاوةُ ، ومن حيث المشقةُ وإنَّ درجاتِ الماهر فوق ذلك كلِّه ، لأنه قد كان القرآن متتعتًا عليه ، ثم ترقَّى عن ذلك إلى أن شُبِّه بالملائكة - واللَّه أعلم - .

وإن هذا الحديثَ الشريفَ : يُرشدنا إلى فضْل قراءةِ القرآنِ وحفظِه ، وأن ذلك من أفضل الأعمالِ وأعظم القُربات ، فالحديثُ يبيِّن لنا مكانةَ حافظِ القرآن وقارئه ، خصوصًا مَنْ يجتهدُ فى الحِفظ والتَّجويد ، ويحرصُ على سلامة النُّطق حتى يصيرَ ماهرًا بالقراءة ، مُجيدًا للتِّلاوة ، مع إخلاصِه وحبِّه للقرآن ، وعملِه به وتحلِّيه بفضائله ، فإن هذا تكون منزلتُه مع السَّفَرة من الملائكة ، وهم يَلْزمون صُحبتَه وهو يتلو كتاب اللَّه ، وما أكرمَها من صُحبة فى الدُّنيا ، وما أعظَمَه من لقاءٍ معهم فى الدَّار الآخرة !

وهذا الحديث الشريفُ يدعونا إلى أن نُنيرَ حياتَنا بصُحبة القرآن ، لا نغفلُ عن قراءته وتدبُّره ، حتى ولو كان الواحدُ منَّا ضعيفَ القراءة ، ضعيفَ الحِفظِ ، فعليه أن يثابر ، ويَحرصَ على الاستمرار فى القراءة ، ويرغَبَ دائمًا فى التِّلاوة ، وقد بيَّن لنا النبىُّ ﷺ أن مَنْ هذه حالتُه ويُداوم على قراءة القرآنِ ، ويرغبُ فى إجادة التِّلاوة والحفظِ ، فإن له أجريْنِ من اللَّه تعالى ، أَجْرَ القراءةِ ، وأَجْرَ احتمالِ المشقَّة والمُثابرة على التِّلاوة .

وإنه لمِمَّا يُساعد المرءَ على إجادة التِّلاوة ، وعلى سُرعةِ الحِفظِ ، أن يبدأ فى تَعَلُّم القرآنِ وحفظِه فى صِباه ، وينبغى للأسرة المسلمةِ أن تلتفتَ إلى ذلك ، فتُبادرَ إلى تعليم أولادِها القرآنَ ، ليشبُّوا على توقيره واحترامِه ، ولكى يُؤتى التعليمُ ثمارًا أسرعَ وأرسخ : « **ذلك أن الصَّبىَّ إذا تعلَّم بلَغ وهو يعرفُ ما يُصلِّى به ، وإنَّ حِفْظَه فى الصِّغر أَوْلَى من حِفْظه كبيرًا ، وأشدُّ عُلوقًا بخاطره ، وأرسخُ ، وأثبتُ كما هو المعهود ، من حال النَّاس** » .

بهذا علَّل ابنُ كثير رأيه فى الحثِّ على تعليم القرآنِ فى الصِّبا ، وإن كان ينبغى لمُعلِّمه أن يُراعىَ سِنَّه ، وقُدراتِه ، وجودةَ حفظِهِ وهمَّته ، حتى لا يُثقِل عليه فى أوَّل الأمرِ ، وقد استحبَّ عمرُ بنُ الخطَّاب ﷺ أن يُلقَّنَ الصَّبىُّ خمسَ آياتٍ خمسَ آيات ، ومعنى هذا أن يكونَ تعليمُ الصبىِّ بالتَّدريجِ حتى يكونَ دائمًا على ثقةٍ بنفسه .

مسؤولية التَّربية السَّامية على الأسرة :

إن أعظمَ وأنفعَ ما تُقدِّمه الأسرةُ لأولادها أن تُنشِّئَهُم على طاعة اللَّه ، وأن تُحَبِّبَ القرآنَ إلى قلوبهم ، وترغِّبَهُم فى تلاوته وحفْظِه ، وأن تسعى إلى ذلك وتحرصَ عليه .

العلم والعمل :

والرسولُ ﷺ إذا كان يحبِّبنا ويرغِّبُنا فى تلاوة القرآنِ وحِفظه فإنه أيضًا يدعونا للعمل به ، والاهتداءِ بهديه ، والتزام ما أمر به ، وإلى البُعد عَمَّا نهى عنه ، وَقد روى عليُّ بن أبى طالب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : « **مَنْ قرأ القرآنَ فاستَظْهَرَه ، فأحلَّ حلالَهُ ، وحَرَّمَ حرامَهُ ، أدخلَه اللّه به الجنَّةَ ، وشفَّعَهُ فى عَشرةٍ من أهلِ بيتِه كلُّهم قد وَجَبت له النَّار** » . [أخرجه ابن ماجه والترمذىُّ واللَّفظ له وقال حديثٌ غريب] .

إن القرآنَ الكريم جاء بخير البشر وسعادتِهم ، وهو نورُ القلوب المؤمنة المُخلصة ، وحياةُ النفوس المطمئنَّة ، وهو الهادى إلى سُبل الفوزِ والنَّجاة ؛ لهذا كانت تلاوتُهُ وحبُّه والعملُ به من أعظم العباداتِ ، كما قال الحبيبُ المصطفى ﷺ : « **أَفْضَلُ عِبادةِ أُمَّتى تِلاوةُ القرآنِ** » .

إحياءُ القلوب بالقرآن ، وإحياءُ الأرض بماء السَّماء :

ولنتدبَّر قولَ الحقِّ تبارك وتعالى : ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٧﴾ . [الحديد ١٧] .

فقد ضرب اللّه للقلوب القاسيةِ الغافلة اللَّاهيةِ مَثلًا بالأرض الميْتة ، هذه الأرضُ إذا نزل عليها الماءُ اهتزَّت وربَتْ ، وأنبَتَتْ ونفعتْ ، كذلك القلوبُ إذا أقبلتْ على كتاب ربِّها بالحبِّ والتلاوةِ والتدبُّرِ لانَتْ ، وخشعتْ ، ورقَّت ، ودفعت صاحبَها إلى الجادَّة فينفع نفسَه ، وينفع غيرَهُ ، ولكى يكونَ المعنى شديدَ الوضوحِ فإن علينا أن نسمعَ ونتدبَّر قولَ اللّه فى الآية السابقة عليها : ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝١٦﴾ . [الحديد ١٦] .

نعم إن القلوب القاسيةَ علاجُها قراءةُ القرآن ، وتدبُّره ، وذِكرُ اللَّه عزَّ وجلَّ .

حقًّا : إن القرآن الكريم شفاءٌ لِمَا فى الصُّدور من العَمى والجهْل والغِلْظة والجَفوة ، ومن جميع الأمراضِ التى تحول بين الإنسانِ وبين تَرقِّيه فى مدارجِ الكمالِ الإنسانىِّ ، ومن الآفاتِ التى تحولُ بينه وبين السعادة والفوز فى الآخرة .

فاللَّهُمَّ اجعلْنا من أهلِ القرآنِ عِلمًا وعملًا بفضلِك وإحسانِك ، يا أرحمَ الرَّاحِمِين .

* * * *

دعاء :

اللَّهم ارْزُقنا تلاوةَ كتابِك على الوجْه الذى يُرضيك عنَّا ، واهدِنا به سبلَ السَّلام .

وأخْرِجْنا به من الظُّلمات إلى النُّور .

واجعلْهُ حجَّةً لنا لا علينا يا ربَّ العالمين .

اللَّهم ارفَعْ لنا به الدَّرجاتِ ، وأنْقِذْنا به من الدَّركاتِ ، وَكَفِّرْ عنَّا به السَّيِّئات .

واغفِرْ لنا ولوالدِينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحمَ الراحمين .

* * * *

منثورات من الدُّرَرِ المأثورات

قال ابن مالك فى تفسير قوله تعالى : ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة ٢٥٦] .

قال : هى القرآن .

قال رَسُولُ اللَّه ﷺ : **« من أراد عِلْمَ الأولين والآخِرين ، فَلْيُثَوِّر[1] القرآن »** .

أى فليقرأ القرآنَ متدبِّرًا ، وليبحثْ عن حِكَمه ، ومعانيه ، وعِبَره ، وعِظاته ويفهمْ شرائعَه وأحكامه .

*** قيل لجعفر بن محمد الصَّادق : « لِمَ صار الشعرُ والخُطبُ يُمَلُّ ما أُعيد منها ، والقرآنُ لا يُمَلُّ ؟ فقال : لأن القرآن حُجَّةٌ على أهل الدَّهر الثانى ، كما هو حُجَّة على أهل الدَّهر الأوَّل ، فكلُّ طائفةٍ تتلقَّاه غَضًّا جديدًا ، ولأنَّ كلَّ امرئٍ فى نفسه متى أعاده ، وفكَّر فيه ، تلقَّى منه فى كلِّ مرَّةٍ علومًا غضَّة ، وليس هذا كلُّه فى الشِّعر والخُطب »** .

نعم . . إن القرآنَ لا يَمَلُّه الأتقياء ، ولا يشبع منه العلماءُ ، ولا تَبْلى جِدَّتُه ولا يَخْلُق من كثرة الردِّ ، ولا تَنقضى عجائبُه ، ولا تَفْنَى كنوزُه وجواهره .

مَن بحث عن الهُدى وجده فى كتاب اللَّه ، ومن أراد السكينةَ والطمأنينةَ فلْيعتصمْ بكتاب اللَّه ، ومَنْ بحث عن أشرف العلوم وأطهرِها وأزكاها وجدَها فى القرآن الكريم ، ومن التمس العبرةَ لنفسه ، يردعُها عن الغَيِّ ولغيره يُبيِّن له عواقبَ الضَّلالِ والانحراف عن الصِّراط السويِّ فإن مُبتغاه فى آيات

(١) تثوير القرآن قراءته والبحث عن معانيه وعلمه ومفاتشة العلماء به .

الكتابِ الحكيم ، وكلَّما أعاد المرءُ تلاوةَ الآيةِ أو الآياتِ وجد لذلك حلاوةً فوق حلاوة ، وبردًا وسلامًا ، ورَوْحًا ورَيْحانًا ، فاللَّهُمَّ زِدِ القرآن حبًّا فى قلوبنا ، وارزقنا الفهمَ لحِكَمه ، والفقهَ لأحكامه ، والعملَ بما نعلم .

* وقيل لحُميد بن سعيد : ما هذا التَّرديدُ للقصص فى القرآن؟ .

فقال : ليكونَ لمَن قرأ ما تيسَّرَ منه حظٌّ فى الاعتبار .

* حدَّث مالكُ بنُ أنس عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : «مَنْ قرأ مائةَ آيةٍ كُتب من القانتين ، وَمَنْ قرأ مائتى آيةٍ لم يُكْتَب من الغافلين ، ومَنْ قرأ ثلاثَمِائةِ آيةٍ لم يُحاجِّه القرآنُ» .

وقال أبو هريرة كما عند الحاكم : « مَنْ قرأ عشرَ آياتٍ فى ليلةٍ لم يُكتب من الغافلين » . وعنه أن رسولَ اللَّه ﷺ قال : « من حافظ على هؤلاء الصَّلواتِ المكتوباتِ لم يُكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائةَ آيةٍ فى ليلةٍ كُتب من القانتين » . [أخرجه ابن خزيمة والحاكم واللَّفظُ له وقال : صحيح على شرطهما] .

* عن جابر رضي الله عنه : عن النبيِّ ﷺ أنه قال : «القرآنُ شافع مشفَّعٌ وما حِلٌ مُصَدَّق ، مَن جعله أمَامَهُ قاده إلى الجنَّة ، وَمَن جعله خلْفَ ظهرِه ساقَهُ إلى النار» . [أخرجه ابن حبان فى صحيحه] .

قال ابن الأثير فى معنى « ما حل مصدَّق » أى خصمٌ مجادلٌ مُصدَّق ، وقيل ساعٍ مُصدَّق ، من قولهم مُحِلَ بفلان إذا سُعِى به إلى السُّلطان والمعنى : أن من اتَّبع القرآنَ ، وعمِل بما فيه فإنه شافعٌ له ، مقبولُ الشَّفاعة ، ومُصدَّق عليه فيما يَرفعُ من مَساويه إذا ترك العملَ به .

* قال بعضُ العلماء فى تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ . [يونس ٥٨] . قال «الإسلام والقرآن» .

قال قوم من الأنصار للنبيِّ ﷺ : ألم ترَ يا رسولَ اللّهِ ثابتَ بنَ قيسٍ لم تزلْ دارُه البارحةَ يُزْهَرُ فيها[1] ، وحولَها أمثالُ المصابيح ؟

فقال لهم : « فلعلَّه قرأ سورةَ البقرة » ، فسُئِلَ ثابتُ بنُ قيس فقال : نعم ، قرأتُ سورةَ البقرة .

* كان أُسَيد بنُ حضير بن سِماك بنِ الأوس الأنصاريُّ من أحسنِ النَّاس صوتًا بالقرآن ، وقد ثبت من حديثٍ صحيح أن الملائكةَ تنزَّلت فى الظُّلَّة لصوته بقراءة سورةِ البقرة .

ففى الحديث الذى رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن أبى سعيد ورواه ابن حبَّان فى صحيحه عن أسيد بن حضير ، قال أسيد رضى اللّه عنه : « **يا رسولَ اللّه بينما أنا أقرأ اللَّيلَة سورةَ البقرة ، إذْ سمعتُ وَجْبَةً من خَلْفي ، فظننتُ أن فَرسى انطلق ، فقال رسولُ اللّه ﷺ اِقْرأْ أبا عَتيك ، ومضى أسيدُ يقول : فالتفتُّ فإذا مِثْلُ المصباحِ مُدَلًّى بين السماءِ والأرضِ ، ورسولُ اللّه ﷺ يقول : اقْرأْ أبا عَتيك ، فقال : يا رسولَ اللّه فما استطعتُ أنْ أمْضيَ ، فقال رسولُ اللّه ﷺ : « تلك الملائكةُ تنزَّلَتْ لقراءةِ سُورَةِ البقرة ، أمَا إنَّك لو مضيتَ لرأيتَ العجائب** » .

[لفظ ابن حبان ورواه الشيخان من حديث أبى سعيد بنحو ما تقدَّم] .

سمعتُ وجْبةً : يعنى جَلَبةً وضَجَّة من الفَرَس ، وهو يتحَّرك فى مَرْبطه .

مُدلًّى : أى مُعلَّقَ .

فما استطعتُ أن أمِضىَ : أى ما قدرتُ على مُواصلة القراءةِ وأُكمل السُّورة .

أما إنك لو مضيتَ : أى لو أكملتَ قراءةَ السُّورة لرأيت عجبًا من

(١) يزهر فيها : أى فيها نور وإشراق .

الكرامات بسببِ الإخلاصِ فى تلاوة سورة البقرة بتدبُّر واتِّعاظ .

* وفى الحديث الذى رواه سهلُ بنُ سعد ﷺ أن رسولَ اللَّه ﷺ قال : «إن لكل شيءٍ سنامًا ، وإن سَنام القرآن سورةُ البقرة ، مَن قرأها فى بيته ليلاً لم يدخلِ الشيطانُ بيتَه ثلاثَ ليالٍ ، ومن قرأها نهارًا لم يدخل الشيطانُ بيتَهُ ثلاثةَ أيام» . [أخرجه ابن حبان فى صحيحه] .

* وذكر عثمانُ بنُ سعيدِ بنِ عثمانَ المقرئ الملقَّب بأبى عمر الدَّانى عن علىِّ بنِ المغيرة الأثرم قال : كنتُ أتكلَّم فى الكسائىِّ ، وأقَعُ فيه ، فرَأيتُه فى النَّوم ، وعليه ثيابُ بياض ، ووجهُه كالقمر ، فقلتُ : يا أبا الحسن ما فعل اللَّه بك؟ فقال : « غَفَر لى بالقرآن » .

* ومن كلام عبد اللَّه بن عمرو ﷺ : «وعليكم بالقرآن فتعلَّموه وعلِّموه أبناءَكم ، فإنكم عنه تُسألون ، وبه تُجْزَون ، وكفى به واعظًا لمن عَقَل» .

* وقال رجلٌ لأبى الدَّرداء «إن إخوانًا لك من أهل الكُوفةِ يُقرؤونك السلام ، ويأمرونك أن تُوصيَهُم فقال : أقرِئْهم السَّلام ، ومُرْهُم ، فليُعْطوا القرآنَ بِخزائمِهم[(١)] فإنه يَحمِلُهم على القصْد والسُّهولة ، ويُجنِّبهم الجَوْرَ والحُزونة»[(٢)] .

* يُروَى أن أهلَ اليمن لَمَّا قدِموا أيامَ أبى بكر الصِّدِّيق سَمِعوا القرآنَ ، فجعلوا يبكون ، فقال أبو بكر : « هكذا كنَّا ، ثم قَستِ القلوبُ ».

لاحولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّه، فكيف يكونُ حالُنا ، نسألُك السَّتْر والعفو ولينَ القُلوبِ يا ربِّ .

---

(١) خزائم : جمع خزامة ، يريد الانقياد لحكم القرآن وإلقاء الأزِمَّة إليه والتسليم لحُكمه وأمره ونهيه .

(٢) الحُزونة : ضدُّ السُّهولة .

* جاء عند ابن ماجةَ عن جابر أن رسولَ اللَّه ﷺ قال «إنَّ من أحسنِ النَّاس صوتًا بالقرآن الذى إذا سَمِعْتُموه يقرأ حسبتُموه يَخْشى اللَّهَ» .

* رُوى أن عمرَ بنَ الخطاب ﷺ قرأ مَّرة : ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ [الطور ٧، ٨] . فأنَّ أنَّةً ، عِيدَ منها عشرين يومًا (أى مرض يُزار عشرين يومًا) .

* وفى الحثِّ على الخُشوع عند القراءة والاجتهاد فى شَغْل اللِّسان والقلبِ بالقرآن ، قال رسولُ اللَّه ﷺ : « إن هذا القرآنَ نَزل بِحُزْنٍ ، فإذا قرأتموه فابْكُوا ، فإن لَّم تبكوا فَتَبَاكَوْا ، وتغنَّوا به ، فمَن لَّمَ يتغنَّ به فليس منا » .

[رواه سعد بن أبى وقَّاص وأخرجه ابن ماجة وفى إسناده أبو رافع إسماعيل بن رافع ضعيف]

* والمقصود بالتغنِّى : تجويدُه وصحَّةُ تلاوتِه مع الخشوع .

* قال رجلٌ لعبد اللَّه بنِ مسعود : أوصِني ، « فقال إذا سمعتَ اللَّه تعالى يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ فأَرْعِها سَمْعَك ، فإنه خيرٌ يأمر به ، أو شَرٌّ ينهى عنه » .

*** مَرَّت امرأةٌ على عيسى بن مريمَ عليه السلام ، فقالت : « طُوبى لبطنٍ حَمَلَك ، ولِثدْيَيْن رضَعْتَ منهما » .**

فقال عيسى : « طُوبى لِمَن قَرأ كتابَ اللَّه ، وعمِل بِما فيه » .

عن زيد بنِ أرقم ، قال : قام رسول اللَّه ﷺ يومًا خطيبًا : فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال : **« يا أيُّها النَّاسُ إنَّما أنا بشرٌ يُوشِك أن يأتيَنى رسولُ ربِّى فأُجيبَهُ ، وإنِّى تاركٌ فيكم الثَّقلَيْن : أوَّلُهما كتابُ اللَّه فيه الهُدَى والنُّور، فتمسَّكُوا بكتاب اللَّه ، وخُذوا به - فحثَّ عليه ورغَّب فيه - ثم قال : وأهل بيتى**

أذكّركم اللّهَ فى أهلِ بيتى - ثلاثَ مراتٍ»[1] .

* سمِع أعرابىٌّ قارئًا يقرأ : «فاقْطَعُوا أيديَهُما جزاءً بما كَسَبَا نكالًا مِّن اللّه واللّهُ غفورٌ رحيمٌ» . فقال : ما هذا؟ فقيل له : قرآنٌ ، فقال ما هذا بقُرآن؟ فتنبَّه القارئُ فقال : ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة ٣٨] . فقال الأعرابىُّ : «عزَّ فَحَكَمَ فَقَطَع» .

* قال أبو هريرة قال رسول اللّه ﷺ : «إذا قرأ ابنُ آدمَ السَّجدةَ فسجَدَ اعتزلَ الشَّيطانُ يبكى يقول : يا ويْلَه» . وفى رواية : «يا وَيْلي ، أُمِرَ ابنُ آدمَ ، بالسُّجود فسجَد ، فله الجنَّةُ ، وأُمِرْتُ بالسُّجود فأَبيتُ فلى النَّار» .

[أخرجه مسلم وابن ماجه] .

* روى الدَّارمىُّ عن وهب الذِّمارىِّ قال : «من آتاه اللّه القرآنَ ، فقام به آناءَ اللَّيل ، وآناءَ النَّهار ، وعمِل بما فيه ، ومات على الطَّاعة ، بعثه اللّه يوم القيامة مع السَّفرة والأحكام» .

قال سعد : السَّفرةُ : الملائكة ، والأحكامُ : الأنبياء .

عن إبراهيم التَّيْمىِّ : أن أبا بكر الصِّدِّيق ﷺ سُئل عن قوله تعالى : ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس : ٣١] . فقال : «أىُّ سماءٍ تُظِلُّني؟ وأىُّ أرض تُقِلُّني؟ إذا أنا قلتُ فى كتابِ اللّه ما لا أعلم» .

وذلك أنَّ الرجلَ من السَّلف الصَّالح كان يتحرَّجُ عن تفسير مالا عِلْمَ له به ، فماذا نقول فيمَن يجترئُ على تفسير كتابِ اللّه بغير علْم ولا دِراية؟! .

(١) الوصاية بأهل بيته أن يعرفوا لهم فضلهم ، ولا يخرجوهم فى الإطراء عن وضعهم ، ولا يكذبوا عليهم .

عن عبد الله بنِ عمْرو ﷺ قال ، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « الصِّيامُ والقرآنُ يَشفعان للعبد ، يقول الصيامُ ربِّ إنى منعتُه الطَّعامَ والشرابَ بالنَّهار ، فشَفِّعنى فيه ، ويقول القرآنُ : ربِّ منعتُه النَّومَ باللَّيل ، فشفِّعنى فيه فَيُشَفَّعان » . [أخرجه أحمد والطبرانى والحاكم واللَّفظ له وقال صحيح على شرط مسلم] .

* * * *

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ . [سورة البقرة]

* * * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ .

[الأحزاب : ٤٥ - ٤٨]

استذكارُ القرآنِ وتعاهُدُه

عن ابن عمرَ ﷺ أن رسولَ اللَّه ﷺ قال : « إنَّما مَثَلُ صاحِبِ القرآنِ كَمَثَلِ صاحبِ الإبِلِ المُعقَّلَةِ ، إنْ عَاهَد عليها أمْسَكَهَا ، وإنْ أطلَقَها ذَهَبَتْ » .

[رواه البخارى ومسلم] .

وزاد مسلم : « وإذا قام صاحبُ القُرآن فقرأه بالليل والنَّهار ذَكَرَه ، وإذا لم يقُم به نَسِيه » .

أى : إذا داوم صاحبُ القرآن ، وواظب على التِّلاوة جاعلًا لذلك نصيبًا من نظام يومه ، فإنه يظلُّ حافظًا له بعون اللَّه .

وعن أبى موسى ﷺ قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « تَعاهدُوا القرآنَ ، فَوَالذى نفسُ محمدٍ بيده لهو أشَدُّ تفلُّتًا من صدورِ الرِّجالِ من الإبِلِ فى عُقُلها » .

[أخرجه مسلم] .

وفى بعض الرِّوايات : «استذْكِروا القرآنَ ؛ فإنه أشدُّ تَفَصِّيًا من صُدور الرِّجالِ من النَّعَم - من عُقُلها -» . [من حديثٍ رواه عبدُ اللَّه بن مسعود رضى اللَّه عنه، وأخرجه البخاريُ وأخرجه مسلمٌ موقوفًا]

المفردات :

« إنما مَثَلُ صاحبِ القرآن » : أى الذى ألِفَ تلاوتَه .

(المُعَقَّلة) : بضم الميم وسكون العيْنِ المهملة ، - أى المُعْقَلَة - ، أو بتشديد القاف مع فتح العين : أى المشدودة بالعِقَال ، وهو الحبل الذى يُشَدُّ فى رقبةِ البعيرِ ورِجْله لئلَّا يَهرُبَ .

(إن عاهد عليها) : أى حافظ عليها وراقبها .

و(**تعاهدوا**) : من تَعاهد الشيءَ واعتهده وتعهَّده ، أى تفقَّده ، وأحْدث العهدَ به ، والتعاهُدُ والتعهُّد : المراجعةُ والمعاودة - قاله الهرويُّ - .

« **تفلُّتًا** » مصدر تفلَّت ، يُقال تَفلَّت منِّى الشيءُ ، وأفلتنى الشيءُ ، انفلَتَ أى انفصل وذهب .

« **تَفَصِّيًا** » التفَصِّى التخلُّص ، يقال : تفصَّى فلانٌ من البليَّة إذا تخلَّص منها ومنه تفصَّى النَّوى من الثَّمرة ، إذا تخلَّصَ منها ، أى أنَّ القرآنَ أشدُّ تفلُّتًا من الصدور من النَّعَم إذا أرسِلتْ من غير عِقال .

(**النَّعم**) : **الإبل** .

ومضمونُ هذه الأحاديثِ : **التَّرغيبُ فى كثرة تلاوةِ القرآن ، مع التدبُّر والاتِّعاظ** ، والمُداومَة على استذكارِه وتعاهُده لئلَّا يُعرِّضَه حافظُه للنِّسيان ، فإن ذلك خطأٌ كبيرٌ، ونحن نسأل اللَّه العافيةَ من نِّسيان ما حَفِظناه منه ، وأن يوفِّقَنا لحْفظ ما فاتَنا حِفْظُه ، كما نسأله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته أن يذكِّرنا ما نسيناه منه ، وأن يُيسِّرَ لنا دومًا حفظه ، وفهمَه ، وتدبُّره والاهتداءَ بهدْيه ، إنه سبحانه لطيفٌ بعباده رحيم بهم .

وفى الحديث الأول : شبَّه درسَ القرآنِ واستمرارَ تلاوتِه بربْطِ البعير الذى يُخشَى منه أن يشرد ، فما دام التَّعاهُد موجودًا فالحفْظُ موجود ، كما أن البعيرَ ما دام مشدودًا بالعقال - الحبْل - فهو محفوظ ، وخصَّ الإبِلَ بالذِّكر لأنها أشدُّ الحيوان الأهليِّ نُفورًا .

إنَّ القرآنَ الكريم هو كتابُ الهدايةِ الرَّبانية للنَّاس كافةً ، إلى أن تقومَ السَّاعة ، ولا سعادةَ حقَّةً لبنى الإنسان إلَّا بالايمان به وتطبيق أحكامه ، واتِّباع منهجه للحياة ، ولتربية الإنسان ، وقد أنزله ربُّ العالمين على قلب

خاتَم النبيِّين لينقذَ به من الضَّلالة ، ويُخْرِج الناسَ من ظُلمات الجهْلِ والكفرِ إلى نور العلْم والإيمان ، وليكونَ دستورَ الحياةِ الإنسانيَّة الفاضلة النَّظيفة . . وليبيِّنَ للنَّاس حقوقَ الربِّ على عباده ليعبدوه حقَّ عبادته ، وليشكروه ، ليفوزوا بخيرىْ الدُّنيا والآخرة .

مسؤولية أُمَّتنا :

ولذا فإن مسؤوليَّة أهل الإسلام جسيمة تجاه الدَّعوة إلى اللَّه ، وتبصير الأمم التى تاهت فى متاهات الضَّلال والفجور والقسوة ، بحقائق الوحى الإلهىّ ، وبمزايا الإسلام وعدْله وحِكمته وهدايته لتربية الفرد ، وللسموِّ بالإنسان والأمَّة فى مدارج الازدهار المادِّىّ والمعنوىّ ، والرُّقىّ العقلىّ والرُّوحىّ معًا ، حتى يحقق الإنسانُ فطرته السليمة ، ويعيش حياةً آمنةً مطمئنةً بعقيدة صحيحةٍ ، وبعملٍ صالح ، وتعاونٍ على البرِّ والخير .

ومن حقِّ القرآن علينا أن نتدبَّره ونُقْبِلَ على تلاوته وحفْظِه ، ومَنْ حَفِظَهُ أو حَفظ منه شيئًا ينبغى له أن يستذكرَهُ ، وأن يداومَ على تلاوته فى الصَّلوات وفى غير الصَّلوات ، حتى لا يغيبَ عنه ما حفظه ، ولا يذهبَ من صدْره ما وعاه منه .

وإن الحبيبَ المصطفى ﷺ يحثُّنا على تعاهُد القرآن على الوجه الأتمِّ بحفظه ، والمداومةِ على ترداده ، ومُدارستِه ، وتفهُّم معانيه ، والاجتهادِ فى معرفة ما فيه من أحكام وأسرار وعِبَر وعظات .

فقولُه ﷺ : « تعاهدُوا القرآنَ » معناه واظِبوا على تلاوته ، واطلُبوا من أنفسِكم مُذاكرتَه .

ويُرشدنا الرسولُ ﷺ إلى أن حاملَ القرآنِ إذا واظب على تلاوته أَنِس

وسكَن فى قلبه ، كما أن صاحبَ الإبل إذا عقَلها - ربطها - أمِن من نُفورها وشِرَادِها ، وأمَّا إذا أهمل صاحبُ القرآنِ فى مُدارسته ، تفلَّت منه ، ولم يبقَ له فى قلبه أثرٌ ، كما أن صاحبَ الإبل إذا فرَّط فى عقْلها ، ولم يُحْكِم رَبْطها تَفصَّت وشَرَدتْ ، ولذلك قوَّى رسولُ اللّه ﷺ الكلامَ وثبَّته فى الصُّدور بالقَسَم ، فقال : «فوالَّذى نفسُ محمدٍ بيده لهو أشدُّ تفلُّتًا من صدور الرجالِ من الإبلِ فى عُقُلها» .

فكما أنَّ البعيرَ إذا تُرِك من غير عِقال شردَ وضلَّ ، وكذلك حافظ القرآنِ إن لم يتعاهدْه تفلَّتَ ، بل هو أشدُّ فى ذلك من الإبل ، ويشهدُ لذلك ، قولُ الحقِّ تبارك وتعالى : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝﴾ . [المزمل ٥] .

وقوله : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ . [القمر] .

فمَنْ أَقْبل بالمُحَافظة عليه يُسِّر له ، ومن أعْرَضَ منه تفلَّتَ منه .

من حقوق القرآن علينا :

إن من حقِّ القرآنِ على المؤمنين أن ينالَ أقْصَى عنايتِهم ، وتوقيرِهم كما نبَّه الشارعُ على ذلك ، ولا غرابةَ فى ذلك ، فالقرآنُ نورٌ لحافِظِه يَهديه إلى البِرِّ ، ويَحُولُ بينه وبين نفسِه الجامحة ؛ ولذلك اعتنَى السَّلَفُ الصَّالحُ بحفظِه وتجويده ، وفهْمِ معانيه ، ودوَّنوا علومَ اللِّسانِ ، والسُّنَّة ، لتكونَ أداةً للوقوفِ على شرائعه ، وآلةً لمنْ يُريد الاجتهادَ والاستنباطَ من أئمَّةِ الدِّين والعلماء المتفقِّهين .

ولنتدبَّر قولَ رسولِ اللّه ﷺ : « إنَّ الذى يتعاهدُ هذا القرآنَ ويشتدُّ عليه له أجران ، والذى يقرؤُه وهو خفيفٌ عليه ، مع السَّفرَة الكرام البررَة » .

[رواه مسلم وأبو داود والترمذىُّ وغيرهم] .

تحذير شديد :

وفى التَّحذير من إهمال صاحبِ القرآنِ تَعاهُدَهُ بالتِّلاوة وبكثرةِ تَرداد ما حَفِظه جاء من حديثٍ رواه أنسٌ ﵁ وفيه : « **وعُرضتْ عليَّ ذُنوبُ أُمَّتى فلم أرَ ذنبًا أعظمَ من سورةٍ من القرآنِ ، أو آيةٍ أُوتيها رجلٌ ثم نَسِيها** » . ثم نسيها : **أى أهملَ التِّلاوَة حتى محاها اللَّه من قلبه** . [أخرجه أبو داود وغيره] .

نسألك اللَّهمَّ أن تُيسِّر لنا حِفْظَه ، وأن تُوفِّقَنا لتعاهُدِه واستذكارِه ، وأن تجعلَ القرآنَ ربيعًا لقلوبنا ، ونورًا لأبصارنا ولضمائرنا ، واهدِنا به الصِّراطَ المستقيم .

وفى الحديث الذى رواه سعدُ بنُ عُبادةَ رضى اللَّه عنه : « **ما مِن امرئ يقرأ القرآنَ ، ثم ينساه إلَّا لقيَ اللَّهَ أجذمَ** » . أى : لقى اللَّه خالىَ اليديْن من الخير ، أو لقىَ اللَّه ، ولا حُجَّةَ له . [أخرجه أبو داود] .

والأجذم االمقطوع اليد .

* * * *

توجيهٌ وتنبيه :

جاء فى المسند وكُتب السُّنن بإسناد جيِّد أن رسول اللَّه ﷺ قال لمعاذ بن جبل ﵁ حين بعثه إلى اليمن : «بِمَ تَحكُم؟ قال : بكتاب اللَّه ، قال : فإن لمْ تجد؟ قال : بسنَّة رسولِ اللَّه ، قال : فإن لَّم تجد؟ قال : أجْتَهِدُ برأيي» .

قال الراوي : فضرب رسولُ اللَّه ﷺ فى صدره ، وقال : «الحمدُ للَّه الذى وفَّق رسولَ رسولِ اللَّه لِمَا يُرضى رسولَ اللَّه» .

قال أبو وائل كما رَوى الأعمشُ أن ابنَ مسعود ﵁ قال : «كان الرجلُ منَّا إذا تعلَّم عشرَ آياتٍ ، لم يُجَاوِزْهُنَّ حتى يَعرفَ معانيهنَّ والعملَ بهنَّ» .

[مقدمة تفسير ابن كثير] .

* * * *

مجالان للخير

عن أبى هريرةَ ﷺ ، أن رسول اللّه ﷺ قال : **«لا حسدَ إلَّا فى اثنتين : رجُلٍ علَّمه اللّهُ القرآنَ ، فهو يَتْلُوه آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ ، فسمِعَه جارٌ له ، فقال : ليتنى أُوتيتُ مثلَ ما أُوتِىَ فلانٌ ، فعملْتُ مثلَ ما يعملُ .**

ورجلٍ آتاه اللّهُ مالًا ، فهو يُهْلكُهُ فى الحقِّ ، فقال : رجلٌ : ليتنى أوتيتُ مثلَ ما أُوتى فلانٌ ، فعملتُ مثلَ ما يَعمل» . [رواه البخارى] .

المفردات :

لا حسدَ : أى لا غِبطةَ ، فالحسدُ تَمنِّى زوالِ ما عند الغير من النِّعم ، وهذا ذَمَّه الشارعُ الحكيم ، أَمَّا الغِبطةُ فهى تَمنِّى مثلِ ما لْلغير من نِعَمِ اللّهِ ، من غير أن تزولَ عنه - أى مع تَمنِّى دوامها لصاحبها - والمرادُ فى الحديث هو الغبطةُ ، فهى مرغوبٌ فيها ، وحبَّبها الشارعُ الحكيمُ إلى النفوس .

يُهلِكُه فى الحقِّ : أى يُنفقه فى الوجُوه المشروعة ، ويبذلُ منه فى وجوهِ الخير ،ونصرةِ الدِّين ، ولقَهْرِ كلِّ مُعتدٍ أثيم على أرض المحبَّةِ والعدْلِ والسَّلام ، أرض أمَّة الإسلام .

وإن فى هذا الحديثِ الشريف بيانًا لمجالين عظيمَيْن للخير ، يحثُّ الرسولُ ﷺ المسلمين على التنافُس للحصول على قَصَبِ السَّبْقِ فيهما :

المجالُ الأوَّل : هو التَّرغيبُ فى حِفظ القرآنِ والمُداومةِ على تلاوته فى الصَّلواتِ وفى غير الصَّلواتِ ، فى أثناء اللَّيل ، وفى أثناء النَّهار تقرُّبًا إلى اللّه تحصيلًا للثواب .

المجالُ الثانى : هو إنفاقُ المال فى وجُوهه المشروعةِ ، وبذلُ قِسطٍ منه للنَّفع العامِّ ، وعدمُ البخل به على المساكين ، والبائسين وذوى الحاجة ، مع الرغبة فيما عند اللَّه من الثَّواب للمخلصين ، وإن مجالاتِ التَّنافُسِ فى الخيرات كثيرةٌ ، ولكنَّ خيرَها ، هو ما حَرَّك الرسُولُ الرَّحيمُ بنا ﷺ الهممَ لتحصيل فضيلتِه .

وإنَّ خيرَ ما يغبِطُ المرءُ عليه أخاه المسلمَ ، ويسعى إلى التَّسابق معه فى مجاله ، أن يكون صاحبُه من أهل القرآنِ الحافظين له الذينَ يتلونه حقَّ تلاوتِه فى أثناء اللَّيل وفى أثناء النَّهار ، فتلك نعمةٌ عظيمة ، وفضلٌ من اللَّه جديرٌ أن يَتَمَنَّاه كلُّ إنسانٍ لنفسه ، ويقول راجيًا التَّوفيق من اللَّه : «ليتنى أوتيتُ مثلَ ما أُوتى فلانٌ فعملتُ مثلَ ما يعمل» .

ومن خير ما يَغبِطُ المرءُ عليه صاحبَه - أيضًا - أن يكون الصاحبُ من أصحاب الأموالِ ، ومن ذوى النفوس الطيِّبة ، ومن أهل المروءاتِ، الراغبين فى الخير ، فهو يُنفقُ من ماله فى ميادين البرِّ ، ويبذلُ منه للنَّفع العامِّ ، ويُغيثُ المهلوفَ ، ويُعينُ الأرامل ، ويعرف حقَّ اليتيم والمسكين ، وينصرُ به الحقَّ ، فَمِثلُ هذا العملِ خليقٌ بأن يتمنَّاه كلُّ إنسانٍ لنفسه ، وأن يكونَ له من المال ما يستطيع أن يُنفقَ منه فى وجوه البِرِّ والخيرِ ونُصرة الدِّين وإعلاءِ كلمته .

وإن المسلمَ بطبيعة الحالِ لا يقفُ عند حدود التمنِّى ، ولكنَّه مُطالَبٌ بالعمل والسعْى والجِدِّ ، وعلى ضوء الحديث الشريف السابق :

يكون المسلمُ مطالَبًا بتلاوة القرآنِ فى خشوع وتدبُّر ، مع عدم الغفلةِ عن ذلك .

كما يُطالَب المسلم بالإنفاق فى وُجوهِ الخير إذا كان ذا مالٍ ، أو يسعَى للكسب من وجُوهه المشروعة ، حتى يقدرَ على الإنفاق فى الخير بقدر ما يستطيع .

فعلى العبد : أن يُحسِن نيَّته ، وقصْدَه ، وأن يجتهدَ ويعمل ، ويُخلصَ القَصْدَ وإن اللَّهَ عزَّ وجلَّ يُعينه ويُيسِّر له أمورَه ، ويوفِّقه برحمته وفضله .

* * * *

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [سورة البقرة]

* * * *

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ .

[سورة الإسراء]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ③﴾ .

[سورة العصر]

القسم الرابع

* * *

* وجوب العناية بتعليم القرآن الكريم

* ما يلزم قارئ القرآن وحاملَه من تَعظيم القرآن وحُرمته .

* ما ينبغى لصاحب القرآنِ أن يأخذَ نفسَه به ، ولا يغفلَ عنه .

* فى آداب متفرِّقة .

* إحصاء .

* * *

* * * *

توجيهٌ وتعليم

* عن جُندب بنِ عبد اللَّه ﷺ قال : قال النبيُّ ﷺ : **«اقرأوا القرآنَ ما ائتلفَتْ عليه قلوبُكم ، فإذا اختلفتُم فقوموا عنه»** . [في صحيح البخارى] .

* وقوله **« ما ائتلفت عليه قلوبكم »** تأويله : أى مدةَ ائتلافِ هذه القلوب واجتماعِها عليه ، لا تَزيغُ بهم الأهواءُ ، يعنى ما دامت القلوبُ منشرحةً لقراءته ، مُقبلةً عليه بتدبُّر وخشوع : **« فإذا اختلفتم »** أى تفرَّقتِ القلوبُ ، ومَلَلْتُم **« فقوموا عنه »** أى اتركوا القراءةَ ، فإنه حينئذٍ يكون منكم مُجرَّدَ ترديدِ ألفاظٍ لا تدبُّرَ فيه ولا اتِّعاظ .

وقال ابن الجَوزيِّ : كان اختلافُ الصَّحابة يقع فى القراءاتِ واللُّغات - أى اللَّهجات - فأُمروا عند الاختلاف بالقيام ، لئلَّا يجْحدَ أحدُهم ما يقرؤه الآخر؛ فيكون جاحدًا لِمَا أنزل اللَّهُ .

* * * *

* عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : **« يا مَعْشَرَ القُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فقَدْ سَبَقْتُم سَبْقًا بَعِيدًا ، وإنْ أَخَذْتُمْ يمينًا وشِمالًا لقَدْ ضَلَلْتُمْ ضلالًا بعيدًا »** .

[أخرجه البخارى] .

* * * *

وجوب العناية بتعليم القرآن الكريم

عن عثمانَ بنِ عفَّان ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال : « **خيرُكُمْ من تعلَّم القرآنَ وعَلَّمه** » . [رواه البخارى ومسلم وأصحاب السُّنن] .

وفى رواية : « **إن أفضَلَكُمْ من تعلَّم القرآنَ وعلَّمه** » . [رواه الترمذىُّ وغيره] .

إن الرسولَ ﷺ يلفتُ المؤمنين إلى مكانة القرآنِ الكريم ، ومنزلتِه ، وينبِّهُ على ضرورةِ العنايةِ به ، العنايةِ بتلاوته وحفظِه وتعليمِه وبتنشئَةِ أبناءِ المسلمين على توقيرِه وحبِّه والتعلُّقِ به ، وتدبُّرِه وحفظِهِ .

فالقرآنُ الكريم هو كلامُ ربِّ العالمين ، هو النورُ والهدايةُ ، وفيه الرشادُ والسلامةُ ، والشفاءُ من الجهلِ ومن مُضلَّاتِ الهَوى ، ومن أدرانِ الانحرافِ عن الصِّراط المستقيم ، وهو الإسلامُ الذى لا عِوَجَ فيه ولا انحرافَ ، ففى القرآن العظاتُ والعبَرُ ، فيه الحكمةُ والسدادُ والحقُّ الثابتُ ، فيه ما يُقَوِّمُ الفِكْر ، ويجلُو صدأَ العقلِ ، ويُنيرُ البصيرةَ ، ويُطَمْئنُ القلبَ ، ويُهَذِّبُ الضميرَ ، وَيصقلُه .

يقولُ الحقُّ تبارك وتعالى من سورة الإسراء : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ .

فخيرُ الناسِ اتِّجاهًا وسَعيًا ، وأفضلُهم منزلةً هم أولئك الذين يتدبَّرون آياتِ اللَّه ، ويحفظُون كتابَ ربِّهم فى صُدورهم ويجتهدون فى الحفظ والتَّجويد ما استطاعوا ، ويهتدون بهديه ، ويعملُون بما أمر اللَّهُ به ، وينتهُون عمَّا نهى اللَّهُ عنه ، ويقفون عند حدوده ، ويُلْزِمون أنفسَهُم بآدابِه وفضائِله ، ثم يعلِّمون المؤمنين كما تعلَّمُوا ، ويُعَوِّدون الناسَ على احترام القرآنِ ومَجالسِهِ ، وعلى توقيره والخشوعِ والإنصات عند سماعه والتَّدبُّرِ عند قراءَتِه .

يقول ابنُ كَثيرٍ القُرشيُّ الدمشقيُّ فى ضوء معانى هذا الحديث : «وهذه صفاتُ المؤمنين المتَّبِعين للرسُل ، وهم الكُمَّلُ فى أنفسهم المُكمِّلين لغيرِهم ، وذلك التَّوجيهُ الشَّريف : جَمَع بين النَّفعِ القاصر والنَّفع المتعدِّي ، وهذا بِخلاف صِفةِ الكفَّار الجبَّارين الذين لا ينتفعون ، ولا يتركون أحدًا مِمَّن أمكنهم أن ينتفعَ ، كما قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ . [النحل ٨٨] . وكما قال تعالى : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام ٢٦] . فى أصحِّ قوْلَي المفسِّرين فى هذا ، هو أنَّهُمْ ينْهَوْن الناسَ عن اتِّباع القرآنِ مع نأْيِهم وبُعدِهم عنه أيضًا ، فجمعوا بين التَّكذيبِ والصَّدِّ كما قال تعالى : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ . [الأنعام ١٥٧] . فهذا شأنُ شِرَارِ الكفَّار ، كما أنَّ شأنَ الأخيارِ الأبرارِ أن يتكمَّلَ المؤمنُ فى نفسِه ، وأنْ يسْعَى فى تكميلِ غيرِه ، كما قال ﷺ «خيرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمه» .

وكما قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ . [فصلت ٣٣] .

فَجَمَع المؤمنُ الممدوحُ فى هذه الآية الكريمة : بين الدَّعوةِ إلى اللَّه ، سواءٌ كان بالأذانِ أو بغيرِه من أنواعِ الدَّعوة إلى اللَّه تعالى : من تعليمِ القرآنِ ، والحديثِ ، والفقْه ، وغيرِ ذلك ، ممَّا يَبتغى به وجْهَ اللَّه ، وعَمِلَ هو فى نفسِه صالِحًا ، وقال قولًا صالحًا أيضًا ، فلا أحدَ أحسنُ حالًا من هذا» .

إن ابنَ كثير يلفِتُنا إلى الصُّورتين المتقابلتين :

صورةِ الجاحد الكافرِ بكتاب اللَّه ، الذى يسعى فى الأرض فسادًا ، يصدُّ النَّاس عن اتِّباعِه ، ويعملُ على حرمانهم من الخير والهُدى والنور .

وصورةِ المؤمنِ الصالحِ الذى يُحِبُّ اللَّه ، ويحبُّ رسولَه ، ويُحبُّ كتابَ

اللَّه ، يتدبَّرُه ، ويوقِّره ، ويحفظُه ، ويتعلَّم حِكَمَه وأحكامَه ، ثم يعملُ على نشرِ الهُدى والخير والنورِ فى النَّاس ، فهو يعَلِّمُ غيرَهُ كتابَ اللَّه ، ويُبيِّن له حَلالَه وحَرَامَه ، وحِكَمَهُ وأحكامَه ، ومواعِظَه وعِبرَه ، ويُشَجِّعُ غيرَه على تدبُّره وحِفْظِه .

إنَّ الكافرَ الصادَّ عن سبيلِ اللَّه مُفسدٌ فى الأرض وعوْنٌ للشَّيطان .

وسبحان الربِّ العظيم القائل : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١﴾ [محمد : ١] إن الحاقدين على الإسلام وأهله فى ضلال وضياع ، يدمِّرون ويُخرِّبون ، ويسْعَوْن فى الأرض فسادًا ، فهم حطبُ جهنَّم وبئس المصير .

أمَّا المؤمن القارئُ للقرآن الذى يُعَلِّم غيرَه كِتاب اللَّهِ ، مع الاهتداءِ بهدْيه ، والإخلاص والمحبَّة ، فهو المصلحُ فى الأرضِ من جُنْدِ الرَّحمنِ .

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾ [محمد : ٢] وما أعظمها من رحمةٍ بالمؤمنين الصَّالحين : يملأ قلوبَهم أمنًا وإيمانًا فى الدُّنيا ، ولهم السَّلامةُ والفوزُ ، والنَّعيم الذى لا يزولُ ولا يُملُّ فى الآخرة .

وشتَّان بين الفريقين ..!

ولهذا دعا رسولُ اللَّه ﷺ إلى إكرامِ حافظِ القرآنِ ، المداوم على تدبُّره وقراءته ، المراعى حُرمتَه ، فقال فى الحديث الذى رواه أبو موسى رضى اللَّه عنه : « **إن من إجلالِ اللَّهِ إكرامَ ذى الشَّيبةِ المسلم ، وحامِلِ القرآنِ ، غيرِ الغالى فيه ، ولا الجافى عنه ، وإكرامِ ذى السُّلطان المُقْسِط** » . [أخرجه أبو داود] .

إنَّ الرسولَ الحبيبَ ﷺ يحُثُّ المؤمنين على توقيرِ القرآنِ والعنايةِ بتدبُّرِه وتِلاوتِهِ وحفْظِه ، وعلى تعلُّم حِكَمِه وأحْكَامِهِ ، والتزيُّن بآدابه .

وإنَّ بيوتَ المسلمين يجبُ أَنَّ تُعْنَى بالقرآن ، وأن تحبِّبَ أبناءَها فيه ، وتُرغِّبَهُم فى حفظِه ، وتُنشِّئهم على توقيرِه ، وعلى حسْنِ الإنصاتِ إليه حين يُتْلى أمامَهُم ، وإن البيتَ الذى يُقْرأ فيه القرآنُ تَهْبط عليه رحْمَةُ اللَّه ، ويكثر خيرُه ، أمَّا البيتُ الذى لا يُقْرأ فيه كتابُ اللَّه فخيرُه قليلٌ ، لأنه محروم من أعظم البركات .

عن أنس رضي الله عنه أن النبىَّ ﷺ قال : «إنَّ البيتَ الذى يُقْرَأُ فيه القرآنُ يكثرُ خيرُه ، والبيتَ الذى لا يُقرأ فيه القرآنُ يَقِلُّ خيرُه » .

وإنَّ مدارسَ المسلمين ومعاهدَ العلمِ فى بلادِهم ، وجامعاتِهم ينبغى أن تزدانَ بتلاوةِ القرآن وتعليم حِكَمِه وأحكامِهِ ، وألَّا يُحْرَمَ أبناءُ المسلمين فى أىِّ مرحلةٍ من مراحل التَّعليم مِن تعلُّم القرآنِ الكريم ، وما يُعِينُ على فَهْمِه من كتب الحديثِ والتَّفسير واللُّغة .

إنَّ أفضلَ الأجيال فى تاريخ أمَّةِ الإسلام هم الذين حملُوا أمانةَ الدعوةِ إلى اللَّه ونشرِ الفضائلِ الإسلاميَّة الرَّفيعة الشأن ، مع العمل على حمايةِ النَّاس من الجَوْر والظُّلْم ومن انتهاك الحُرُمات والذَّوْد عن جميع العقائد ، وحماية أماكن العبادة ، فلكلِّ إنسانٍ دينُه ، وشأنُه إلى اللَّه عزَّ وجلَّ ، ومع توطيدِ دعائِمِ العدلِ والسلام فى الأرض وتوفيرِ الرَّخاء والطمأنينةِ للنَّاس ، إنهم أولئك الذين تَربَّوْا على مائدة القُرآنِ الكريم ، وكان القرآنُ نورَ بصائِرِهم وعقولِهم وقلُوبِهم ودستورَ الفردِ والأسرة والأمَّة ، فهُدوا إلى أعظم مناهج الحياة ، وكانوا بلْسمًا وضياءً .

قال رسولُ اللَّهَ ﷺ فيما يرويه ابنُ عباس رضى الله عنه : **« من اتَّبع كتابَ اللَّه هداه اللَّه من الضَّلالةِ ، ووقَّاه سُوءَ الحسابِ يومَ القيامةِ ، وذلك أن اللَّه عزَّ وجلَّ يقول :** ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ . [طه ١٢٣] .

* * * *

ما يلزم قارئ القرآن الكريم وحامله

من تعظيم القرآن وحُرمته

مِنْ حُرمة القرآنِ : ألَّا يَمسَّه المرءُ إلَّا طاهرًا[١] .

مِنْ حُرمة القرآنِ : أن يقرأه ، وهو على طهارة .

مِنْ حُرمة القرآنِ : أن يستاكَ ، ويَتخلَّلَ فيُطيِّبَ فاه إذْ هو طريقُه .

ومن حُرمته : أن يكون القارئُ حَسَنَ الهِندام .

ومن حرمته : أن يستقبلَ القبلةَ لقراءته .

ومن حرمته : أن يتمضمضَ كلَّما تنخَّع[٢] .

ومن حُرمته : إذا تثاءب أن يُمسِكَ عن القراءة تعظيمًا ، حتى يذهبَ التثاؤب .

ومن حُرمته : أن يستعيذَ باللَّه عند ابتدائِه القراءةَ من الشيطان الرجيم ، ويقرأ « بسم اللَّه الرحمن الرحيم » إن كان ابتداءُ قراءته من أوَّل السُّورة ، أومن حيث بلَغ .

ومن حُرمته : ألَّا يقطعَ القراءةَ بكلام الآدميِّين لغير ضَرورة .

ومن حُرمته : أن يقرأَ على تُؤدَةٍ وتَرسيل وترتيل .

ومن حُرمته : أن يستعملَ فيه ذِهنَه وفهمَه ، حتى يعقلَ ما يُخاطَبُ به .

ومن حُرمته : أن يقفَ على آيةِ الوعْدِ فيَرْغَبَ إلى اللَّه تعالى ، ويسألَه من فضله ، وأن يقفَ على آية الوعيدِ - التَّهديد - فَيُشْعر نفسَه بالرَّهبة ، ويستجيرَ باللَّه من عاقبة العاصين له .

ومن حرمته : أن يؤدِّىَ لكلِّ حرفٍ حقَّه من الأداء ، حتى يُبْرِزَ الكلامَ باللَّفظ تمامًا ، فإن له بكلِّ حرفٍ عشرَ حسنات .

---

(١) الترمذى الحكيم .

(٢) تنخع فلان : رمى نخاعته ، والنُّخاعة : ما يخرجه الإنسان من حلقه من البلغم .

ومن حرمة القرآن : ألَّا يتركَ المصحف منشورًا ، وألَّا يضعَ فوقه شيئًا من الكُتبِ ، حتى يكونَ أبدًا عليًّا لسائر الكتبِ ، عِلْمًا كان أو غيره ، وألَّا يضعَ القرآن بالأرض .

ومن حرمة القرآنِ : أنْ يمحُوَه من اللَّوح بالماء الطاهرِ ، ولا يستخدمَ البُصاقَ فى ذلك ، وأن يضعَ الغُسالةَ فى مكان طاهرٍ .

ومن حرمته : أن يُعْطِىَ عينيْه حظَّهما منه :

قال رسولُ اللَّه ﷺ : « **أعطُوا أعيُنَكُم حظَّها من العبادة » قالوا : يا رسولَ اللَّه ، وما حظُّها من العبادة ؟ قال : « النَّظرُ فى المصْحَف ، والتفكُّرُ فيه ، والاعتبارُ عند عجائبِه** » .

وَرَوى مكحولٌ عن عُبادةَ بنِ الصَّامت قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « **أفضلُ عبادةِ أمَّتى قراءةُ القرآنِ نَظَرًا** » .

ومن حُرمته : ألَّا يقرأَ بألحانِ الغِناءِ كلحُون أهلِ الفِسْق ، ولا بترجيعِ النَّصارى ، ولا بِنَوحِ الرَّهبانيَّة ، فإن ذلك كلَّه زَيْغ .

ومن حرمته : ألَّا يجهرَ بعضٌ على بعض فى القراءةِ ، فيفسدَ عليه ، حتى يُبغِّضَ إليه ما يسمع ، ويكون كهيئة المُغالَبة .

ومن حُرمته : ألَّا يُقرأَ فى الأسواق ، ولا فى مواطن اللَّغَطِ ولا فى مَجْمع السفهاء ، ألَا ترَى أن اللَّه تعالى ذكر عبادَ الرحمن ، وأثنى عليهم بأنَّهم إذا مَرُّوا باللَّغو مرُّوا كرامًا ، هذا لمرورِه بنفسه ، فكيف إذا مرَّ بالقرآن الكريمِ تلاوةً بين ظهْرانَىْ أهلِ اللَّغو ومَجمع السُّفهاء .

ومن حرمته : ألَّا يَتوسَّدَ المصحفَ ، ولا يعتمدَ عليه ، ولا يرمِىَ به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله [فهذا ومثلُه إثمُه فظيع ،وجُرْمُه جسيمٌ] .

ومن حُرمته : ألَّا يُصغَّرَ المصحفُ ، ورَوى الأعمش عن إبراهيم عن

عليٌّ رضي الله عنه قال : « **لا يُصَغَّرْ المصحفُ** » [ولذا فإنَّ مِمَّا لا يجوزُ ما يفعلُه كاتبو القرآن كلِّه فى لوْحةٍ تُعلَّق أو إخراجهم المصحف كلَّه بحرفٍ صغيرٍ جدًّا ليُوضَع فى جيْب الصَّدْر - مثلًا - لأنَّ هذا يكون منافيًا لما يجب لكلام اللَّه من الحُرمة والعناية] .

ورُوِىَ عن عمَر بنِ الخطَّاب رضي الله عنه أنه رأى مصحفًا صغيرًا فى يد رجُلٍ فقال : مَنْ كَتَبه؟ قال : أنا ، فضربه بالدِّرَّة ، وقال : عَظِّموا القرآنَ .

ورُوى عن رسول اللَّه ﷺ أنه نهى أن يقال : مُسَيْجد أو مُصَيْحف «أى نَهى أن يُنطقَ اللَّفظُ بصيغة التَّصغير» وهذا تأكيدٌ لحرمة كتابِ اللَّه وبيوته .

ومن حرمته : أَلَّا يُخلَطَ فيه ما ليس منه .

ومن حرمته : أَلَّا يُحَلَّى بالذَّهب ، ولا يُكتبَ بالذَّهب ، فتخلطَ به زينةُ الدُّنيا .

وروى مغيرةُ عن إبراهيمَ : أنه كان يكرهُ أن يُحلَّى المصحفُ ، أو أن يُكتبَ بالذَّهب ، أو يُعلَّم عند رءوس الآي ، أو يُصغَّر .

وعن أبى الدَّرداء قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « إذا زخرفتُم مساجدَكم ، وحلَّيتُم مصاحفَكُم ، فالدَّبارُ عليكم » [فالعبرةُ بالإخلاص ، والعنايةُ بنظافة المساجدِ ، وتوفير الفُرش المناسبة ، والخدمة المناسبة ، وعدم وجود ما يُذبذبُ انتباه المصلِّى وهو قائمٌ أمام القبلة ، وأن تكون المصاحفُ بخطٍّ ملائم للعين ، وبحجم مُناسبٍ للقارئ مع وضوح الخطِّ ودقَّةِ الحروف وصحَّةِ الكلمات] .

ولْننظُرْ قولَ ابنِ عبَّاسٍ رضى اللَّه عنهما وقد رأى مُصحفًا قد زُيِّنَ بِفضَّة : « تُغْرون به السَّارقَ ، وزينتُه فى جَوْفه » أى فى آياته البيِّنات وعِبرِه ومنهَجِه ، وعلى الورق الطَّاهر المناسب ، وبالحرف المناسب ، مع المُراجعة الدقيقة من قِبَل أهلِ القرآن ذوى الخبرة .

ومن حُرمته : ألَّا يُكْتَبَ على الأرض ، ولا على الحائِطِ ، كما يُفعل ببعض المساجد المحدَثَة .

قصَّة مهمَّة :

عن محمد بن الزُّبير قال : سمعتُ عمرَ بنَ عبد العزيز يحدِّث ، قال : **« مرَّ رسولُ اللَّه ﷺ بكتابٍ فى أرضٍ ، فقال لشابٍّ من هُذَيْل : « ما هذا؟ » قال : من كتاب اللَّه كتبه يهوديٌّ » .**

فقال : « لَعَنَ اللَّه مَنْ فَعَل هذا ، لا تَضَعُوا كتابَ اللَّهِ إلَّا مَوْضِعَه » . أى : موضعه من الاحترام وفى المكان اللَّائق به .

وضرب عمرُ بنُ عبد العزيز ابنًا له رآه يكتبُ القرآنَ على حائط .

ومن حُرمة القرآن الكريم

ومن حرمته : أن يفتتحَهُ القارئُ من أهل القرآن كلَّما خَتَمه ، حتى لا يكونَ كهيئةِ المهجور ؛ ولذلك كان رسول اللَّه ﷺ إذا ختم يقرأُ من أوَّل القرآنِ قدْرَ خمسِ آياتٍ ، لئلَّا يكونَ فى هيئة المهجور .

كما يُستحبُّ للمرء إذا خَتَم القرآنَ أن يجمعَ أهله ويتوجَّه إلى اللَّه بالدُّعاء والتضرُّع ، وكان أنسُ بن مالك رضي الله عنه يفعل ذلك ، وكذلك فعل ذلك جَمْعٌ من السَّلف ، كان الواحد منهم يدعو إخوانه ومُحبِّيه ؛ لأنَّ الرحمةَ تنزلُ عند خَتمِ القرآن .

عن إبراهيمَ عن التَّيميِّ قال : من خَتَم القرآنَ أوَّلَ النهارِ صلَّت عليه الملائكةُ حتى يُمسيَ ، ومن خَتَم أوَّلَ اللَّيلِ صلَّتْ عليه الملائكةُ حتى يُصْبحَ ، قال : « فكانوا يَستحبُّون أن يخْتِمُوا أوَّلَ اللَّيلِ وأوَّلَ النَّهارِ » .

* * * *

ما ينبغى لصاحب القرآن
أن يأخذ نفسَه به ولا يَغْفُلَ عنه

روى التِّرمُذىُّ عن أبى الدَّرداء قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : **« أنزل اللَّه فى بعض الكُتب ، أوْ أوْحَى إلى بعضِ الأنبياء ، قلْ للَّذين يتفقَّهون فى الدِّين لغير الدِّين ، ويتعلَّمون لغير العمل ، ويطلبون الدُّنيا بعملِ الآخرة ، يَلْبسون للنَّاسِ مُسُوكَ[1] الكِباش ، وقلوبُهم كقلوبِ الذِّئابِ ، وألسنتُهم أحْلَى من العسل وقلوبُهم أمرُّ من الصَّبر : إيَّايَ يُخَادِعون ، وبى يستهزئُون ، لأُتيحَنَّ لهم فتنةً تَذَرُ الحليمَ فيهم حيرانَ »** .

تحذيرٌ وواجب أهل العلم :

فيجب على حامل القرآنِ وطالبِ العلم أن يتَّقىَ اللَّه فى نفسِهِ ، وأن يُخلصَ العملَ للَّه ، فإن كان تقدَّم له شيءٌ مِمَّا يكرهُ ، فليبادرْ إلى التَّوبة والإنابة وليبتدئ الإخلاصَ فى التَّوبة وفى عملِه ، فإن الذىَ يلْزمُ حاملَ القرآنِ من التحفُّظِ أكثرُ مِمَّا يلزمُ غيرَه ، كما أنَّ له من الأجرِ ما ليس لغيره .

مسؤوليَّةُ أهلِ القرآنِ عظيمة :

قال ابن عباس : «لو أن حَملةَ القرآنِ ، أخذوه بحقِّه وما ينبغى لأحبَّهم اللَّه ، ولكن طلبُوا به الدُّنيا فأبغضهم اللَّه ، وهانوا على النَّاس» .

*** وعلى صاحب القرآنِ أن يُخلصَ فى طلبه للَّه .**

* وأن يأخذَ نفسَه بقراءةِ القرآن فى ليله ونهاره ، فى الصلاة وفى غيرِ

(١) المُسُوك مفردُه المَسْك - بفتح الميم وسكون السين - وهو الجِلد والقطعة منه : مَسْكَة ، يقال : هم فى مسوك الثعالب . والمِسْح - بكسر الميم وسكون السين : الكساء من الشَّعر ، وثوب الراهب « مُوَلَّد » والجمع أمساح ومسوح .

الصلاة لئلَّا ينساه ، وبهذا أوصانا رسول اللّه ﷺ ، ففى رواية مسلم عن ابن عمر أنه ﷺ قال : « **إذا قام صاحبُ القرآنِ فقرأه باللَّيل والنَّهار ذكرَه ، وإن لَّم يقُم نَسِيه** » .

* وينبغى لقارئ القرآن أن يكون للّه حامدًا ، ولنعمه شاكرًا ، وله ذاكرًا ، وعليه مُتوكِّلًا وبه مستعينًا ، وإليه راغبًا ، وبه مُعتصمًا ، وللموت ذاكرًا ، وله مستعدًّا .

* أن يكون خائفًا من ذنبه ، راجيًا عَفْوَ ربِّه ، ويكونَ الخوفُ فى صحَّته وعافيته وفى شبابه أغلبَ عليه ، إذ لا يَعْلَم أحدٌ بما يُخْتَمُ له ، ويكون الرَّجاءُ عند حضُور أجله أقْوى فى نفسه لِحُسْنِ الظنِّ باللّه ، قال رسولُ اللّه ﷺ : « **لا يَموتَنَّ أحدُكم إلَّا وهو يُحْسِنُ الظنَّ باللّه** » أى أنه يرحمُه ، ويغفرُ له ، وذلك هو المؤمنُ الذى ينفعُهُ بإذن اللّه ما كان عليه من عملٍ صالحٍ ، وإخلاصٍ للّه ، وصحَّةِ عقيدةٍ وسلامةٍ من تبعاتِ الخَلْقِ ، فإن اللّه يُثيبُ برحمته ، ويعاقبُ بعدْله .

فاللَّهُمَّ تَجاوزْ عن سيِّئاتنا ، واجْبُرْ ضَعْفنا واخْتم لنا بما يُرْضيك عنَّا يا كريم .

* أن يكون عالمًا بأهل زمانِه ، مُتحفِّظًا من سُلطانه ، ساعيًا فى خلاص نفسه ونجاةِ مُهجتِه ، مقدِّمًا بيْن يديْه ما يقدِرُ عليه من عَرضِ دُنياه من الصَّدقة والزَّكاة ، ومعاونة أهل الحاجة ، مجاهدًا لنفسه فى ذلك ما استطاع .

* أن يكونَ أهمُّ أمورِهِ الورعَ فى دينه ، واستعمالَ تقوى اللّه ومُراقبتِه فيما أمره به ، ونهاه عنه .

نصيحة للقلوب الرَّاجية :

* ومن نصائح ابن مسعود لقارئ القرآن : « **ينبغى لقارئ القرآنِ أن يُعْرَفَ**

بليلِهِ إذا النَّاسُ نائمون ، وبنهارِهِ إذا النَّاسُ مُستيقظون ، وببكائِهِ إذا النَّاسُ يضحكُون ، وبصمْتِهِ إذا النَّاسُ يخوضُون ، وبخشوعِهِ إذا النَّاسُ يختالون ، وبحُزْنِهِ إذا النَّاسُ يفرحون » .

* ونصيحة لعبد اللَّه بن عَمرو : « **لا ينبغى لحامل القرآنِ أن يخوضَ معَ مَنْ يخوضُ ، ولا يجهلَ مع مَنْ يجهل ، ولكن يعفو ، ويصفحُ لحقِّ القرآنِ ، لأن فى جَوْفه كلامَ اللَّه تعالى** » .

* وينبغى له أن يأخذَ نفسَه بالتَّصاوُن عن طريق الشُّبهاتِ ، ويُقِلَّ الضَّحِكَ والكلامَ فى مجالسِ القرآنِ وغيرها ، بما لا فائدةَ فيه ، ويأخذَ نفسَه بالحِلم والوقار .

* وينبغى له أن يتواضعَ ، ويتَجنَّبَ التكبُّر والإعجابَ ،ويتجافى عن الدُّنيا وأبنائِها إن خاف على نفسِه الفتنةَ ، ويتركَ الجدلَ والمِراءَ ، ويأخذَ نفسه بالرِّفق والأدب .

* وينبغى له أن يكون مِمَّن يؤْمَنُ شرُّه ، ويُرْجَى خيرُه ، ويُسْلَم من ضُرِّه ، وألَّا يَسْمَعَ مِمَّن نَمَّ عنده ، وأنْ يصاحبَ مَنْ يعاونُه على الخيرِ ، ويدلُّه على الصِّدق ومكارم الأخلاقِ ، ويَزِينُه ولا يَشِينُه .

الفهم وطلب العلم من كتاب اللَّه وسُنَّة نبيِّه :

* **وينبغى له أن يتعلَّمَ أحكامَ القرآنِ ، فيفهمَ عن اللَّه مُراده ، وما فَرضَ عليه ، فينتفع بما يقرأ ، ويعملَ بما يتلو .**

* **فما أقبحَ لحاملِ القرآن أن يتلُوَ فرائضَه وأحكامَه ، عن ظهرِ قلبٍ ، وهو لا يفهم مَا يَتْلُو ، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ .**

وما أقبحَ أن يسألَه النَّاسُ عن فِقْه ما يتلُوه ولا يَدْريه؟ .

* وينبغى له أن يعرفَ المدنىَّ من المكِّىِّ ؛ ليفرِّقَ بذلك بين ما خاطب اللَّهُ به عبادَهُ فى أوَّلِ الإسلام ، وما نَدبَهُمْ إليه فى آخر الإسلام ، وما افترض اللَّهُ فى أوَّل الإسلام ، وما زاد عليهم من الفرائض فى آخره ، فالمدَنىُّ هو المؤيِّد للمكِّىِّ فى أكثرِ القرآن ، ولا يمكن أن يَنْسَخَ المكِّىُّ المدنىَّ ؛ لأن المنسوخَ هو المتقدِّمُ فى التُّزول قبل النَّاسخ له .

الاجتهاد فى معرفة اللُّغة :

ومن كمال القارئ أن يعرفَ الإعرابَ والغريبَ ، فذلك مِمَّا يُسَهِّلُ عليه معرفةَ ما يقرأ ، ويُزِيلُ عنه الشكَّ فيما يتلو .

فانفعنا يا ربَّنا بما علَّمتنا ، وزِدنا بفضلك علمًا نافعًا ، وارْزُقْنا قلبًا خاشعًا ، ونفسًا بعطائك قانعةً يا حليم ، يا كريم ليس لنا سِواك .

* * * *

القرآن الكريم : حياتُنا ، ونورُنا ، به نهتدى ، وبسُنَّة الرَّسول ﷺ نعمل ونقتدى .

القرآن الكريم : جعل اللَّهُ فى آياته خيرَ الدُّنيا ، واستقامةَ حياةِ النَّاس على طريق واضح ، طاهرٍ من الفجور ، ومن الفساد ، ومن اعوجاج الفِكْر .

القرآن الكريم : وسنَّةُ النَّبىِّ الأمين : دستورُ الحياة الفاضلة الكريمة : عدلٌ ، ورحمة ، وعِلْمٌ ، وخُلق كريم ، وتعاونٌ على سلامةِ حياة الإنسان ، وتكريمه ، وازدهار حياته بكل شريفٍ ونافعٍ .

فى آداب متفرِّقة

الأمرُ بالوضوء لمن مَسَّ القرآن :

عن عبد اللَّه بنِ أبى بكرِ بنِ حَزْم قال : إن فى الكتاب الذى كتبه رسولُ اللَّه ﷺ لعمْرِو بن حزم : « **أن لا يمسَّ القرآنَ إلَّا طاهرٌ** ».

العلم والعمل :

فى الموطَّأ عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه أنه قال لإنسان : « إنك فى زمانٍ كثيرٍ فقهاؤه ، قليلٍ قُرَّاؤه ، تُحفَظُ فيه حدودُ القرآن ، وتُضَيَّعُ حروفُه ، قليلٍ مَن يَسألُ ، كثيرٍ مَن يُعْطي ، يُطيلون فيه الصَّلاة ، ويَقْصِرُون الخُطبَة ، يُبَدُّون فيه أعمالهم قبل أهوائهم .

وسيأتى على النَّاس زمانٌ قليلٌ فُقهاؤه ، كثيرٌ قُرَّاؤه ، تُحْفَظُ فيه حروفُ القرءانِ ، وتُضَيَّعُ حدودُه ، كثيرٌ مَن يَسأل ، قليلٌ مَن يُعطي ، يُطيلون فيه الخُطبة ، ويَقْصِرُون الصَّلاة ، يُبدُّون فيه أهواءَهم قبل أعمالهم » .

أى يتَّبعون أهواءهم ، ويتركون العمل بالذى افتُرِض عليهم .

فى الحثِّ على العمل :

عن أبى سعيد الخدرىِّ رضي الله عنه قال ، قال رسولُ اللَّه ﷺ : « **إن من شرِّ الناس رجلًا فاسقًا يقرأ القرآنَ ، لا يرعوى إلى شىءٍ منه** » .

أى أن المقصودَ هو العملُ بمقتضى الكتابِ ، لا مُجرَّد التِّلاوةِ باللِّسان والتَّرتيل .

لا يتوسَّد القرآن :

عن السَّائب بنِ يزيدَ رحمه اللَّه : أن شُرَيحًا الحضرمىَّ ذُكر عند رسولِ

اللَّه ﷺ ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **لا يَتوسَّد القرآن** » . [أخرجه النسائئ] .

المفردات :

لا يتوسَّد القرآنَ : يجوز أن يكون مدحًا ، وأن يكون ذمًّا :

فالمدح : أنه لا ينام اللَّيلَ عن القرآن ، فيكون القرآنُ متوسِّدًا معه ، إذْ لم يتهجَّد به ، فصاحبُ القرآن المخلص ممدوحٌ على كلِّ حال ، فالقرآن فى قلبه ، وعلى لسانه .

والذمُّ : أنه لا يحفظُ من القرآن شيئًا ، فإذا نام لم يتوسَّد معه القرآن ، أى : ليس فى قلبه شىء من القرآن ، وفيه : ذَمُّ الخُلوِّ من أعظم نعمة .

يقال : توسَّد فلان ذراعه ، إذا نام عليها وجعلها كالوسادة .

حُسْنُ التِّلاوة وجودتُها :

عن البراء بن عازب رضى اللَّه عنه أن رسولَ اللَّه ﷺ قال : « زَيِّنُوا أصواتكُمْ بالقرآن» . [أخرجه أبو داود والنَّسائئ وابن ماجه]

أي : الْهَجُوا بقراءته ، واشغَلُوا أصواتكم به ، واتَّخذوه شِعارًا وزينة ، ولا شكَّ أن الأداء الجيِّدَ المنضبطَ مع أصولِ التَّرتيل ، ومع مخارج الحروف ونحو ذلك من القواعد ، يجعلُ صوتَ القارئ أكثرَ تأثيرًا فى المستمع ؛ وفى هذا حثٌّ على الإجادة .

فى الجهر بالقراءة :

عن أبى سعيد الخدريِّ ﷺ قال : اعتكف رسولُ اللَّه ﷺ فى المسجد ، فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف السِّتر ، وقال : « **ألا إن كلَّكُم يُناجى ربَّه ، فلا يُؤْذِيَنَّ بعضُكُمْ بعضًا ، ولا يرفعْ بعضُكم على بعض فى القراءة - أو قال : فى الصلاة**» . [أخرجه أبو داود ، وإسناده صحيح] .

عن عائشة رضي الله عنها قالتْ : سمِعَ رسولُ اللَّه ﷺ رجلاً يقرأ فى سورةٍ باللَّيل ، فقال : « **يرْحَمُه اللَّهُ ، لقد أذْكرنى كذا وكذا آية ، كنتُ أُنسِيتُها من سورةِ كذا** » .

وفى روايةٍ : «أَسْقَطْتُهُنَّ من سورة كذا» .

وفى أخرى كان النبىُّ ﷺ يسمع قراءةَ رجلٍ فى المسجد ، فقال : « **رحِمهُ اللَّهُ لقد أذْكرنى آيةً كنتُ أُنْسِيتُها** » . [هذه رواية البخارى ومسلم] .

نقل الحافظُ عن الإسماعيليِّ : أن النِّسيانَ من النبىِّ ﷺ لشىء من القرآن يكونُ على قسميْن :

أحدهما : نسيانُه الذى يتذكَّرُه عن قُربٍ ، وذلك قائمٌ بالطِّباع البشريَّة ، وعليه يدلُّ قولُه ﷺ فى حديث ابن مسعود فى السهو : « **إنما أنا بشرٌ مِثْلُكُمْ** أَنْسَى كما تَنْسَوْن » .

والثانى : أن يرفعَهُ اللَّهُ عن قلبه على إرادةِ نسخِ تلاوتِهِ ، وهو المشار إليه بالاستثناء فى قوله تعالى : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ . [الأعلى : ٦] .

فأمَّا القسمُ الأوَّل : فعارِضٌ سريعُ الزوالِ بظاهر قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ . [الحجر : ٩] .

وأمَّا الثانى : فداخلٌ فى قوله : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ . [البقرة : ١٠٦] على قراءة من قرأ بضمِّ أوله من غير همْز .

قال الحافظ : وفى الحديث : دليلٌ لمن أجاز النِّسيانَ على النبىِّ ﷺ فيما ليس طريقُهُ البلاغَ مطلقًا ، وكذا فيما طريقةُ البلاغ ، بشرط أنه لا يقع إلَّا بعد ما يقَعُ التبليغ ، وبشرْطِ أنه لا يستمرُّ على نسيانه ، بل يحصل له تذكُّرُه ، إمَّا بنفسه ، وإمَّا بغيره ، فأمَّا قبل تبليغِه فلا يجوزُ عليه النسيانُ أصلًا .

الإسرار والجهر :

عن عبد اللَّه بن أبى قيس رحمه اللَّه ، قال : «سألتُ عائشةَ رضى اللَّه عنها كيف كانت قراءةُ رسول اللَّه ﷺ باللَّيل ، أكان يُسِرُّ بالقراءَةِ أم يجهر؟ فقالت : كلُّ ذلك قد كان يفعل ، ربَّما أسرَّ ، وربَّما جهر ، فقلتُ : الحمدُ للَّه الذى جعل فى الأمر سَعَةً » . [من حديث أخرجه الترمذى ، وأخرجه النَّسائىُّ إلى قوله : وربما جهر] .

فى الخشوع والبكاء عند القراءة :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال لى رسولُ اللَّه ﷺ : « اقرأْ علىَّ القرآنَ » فقلتُ : يا رسولَ اللَّه ، أقرأُ عليك وعليك أُنزِل؟ قال : «إنِّى أحبُّ أنْ أسمعَه من غيري» قال فقرأتُ عليه سورةَ النساء ، حتى جئتُ إلى هذه الآية : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ . قال : «حسبُك الآنَ» فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذْرِفان .

هذه روايةُ البخاريِّ ومسلم ، وزاد مسلم فى أخرى قال : قال النبىُّ ﷺ : « شهيدًا عليهم ما دمتُ فيهم - أو ما كنتُ فيهم » شكٌّ من أحد رُواته .

المفردات :

حسبُك : بمعنى : اسكُتْ ، وحقيقتُه كافيك .

تَذرفان : ذرَف الدمعُ : إذا جَرى .

قالت عائشةُ رضي الله عنها : « كان أبو بكر إذا قرأ القرآنَ كثيرَ البكاء » زاد بعضهم : « فى صلاة وغيرها » .

عن عبد اللَّه بن عُروة بن الزُّبير قال : «قلتُ لجدَّتى أسماءَ بنتِ أبى بكر : كيف كان أصحابُ رسولِ اللَّه ﷺ يفعلون إذا قُرِئَ عليهم القرآن؟ قالت :

كانوا كما نعتَهُم اللّهُ عَزَّ وجلَّ : تدمعُ عيونُهم ، وتقشعرُّ جلودُهم ، قال : فقلتُ لها : إنَّ ناسًا اليوم إذا قُرِئَ عليهم القرآنُ خرَّ أحدُهم مغشيًّا عليه ؟ فقالتْ : أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم » .

وعن أسماء رضي الله عنها قالت : « **ما كان أحدٌ من السَّلف يُغْشَى عليه ، ولا يُصْعَق عند قراءةِ القرآنِ ، وإنما يَبْكون ويقشعرُّون ، ثم تَلينُ جلودُهم وقلوبهُم لذكر اللّه** » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « **القرآنُ أكْرَمُ من أن يُزِيلَ عقولَ الرجالِ** » .

فائدة :

قال النوويُّ رحمه اللّه : « البكاءُ عند قراءةِ القرآن صفةُ العارفين وشعارُ الصَّالحين ، قال اللّه تعالى : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ . [الإسراء ١٠٩] . ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم ٥٨] . والأحاديث فيه كثيرة » .

قال الغزاليُّ رحمهُ اللّه : « يُسْتَحَبُّ البكاءُ مع القراءةِ ، وعندها ، وإنَّ طريقَ تحصيله ، أن يُحْضِرَ قلْبَهُ الحزنَ والخوفَ بتأمُّلِ ما فيه من التَّهديدِ والوعيدِ الشديد والوثائِقِ والعهود ، ثم ينظر تقصيرَهُ فى ذلك ، فإن لم يحضرْه حزنٌ فلْيَبْكِ على فقْدِ ذلك ، فإنَّه من أعظم المصائب » .

ورُوِيَ عن ابن عمرَ أنه مرَّ برجلٍ من أهلِ العراق ساقطٍ ، فقال : ما بالُ هذا؟ قالوا : إذا قُرِئَ عليه القرآنُ أو سمِعَ ذِكْرَ اللّه سَقَطَ ، قال ابنُ عمر : « **إنَّا لَنَخْشَى اللّه وما نسقط** » .

وقال ابن عمر : « **إنَّ الشيطانَ يدخلُ فى جوفِ أحدِهم ، ما كان هذا صنيعَ أصحابِ محمَّدٍ ﷺ** » .

عن عبد اللّه بن دينار عن ابن عمر قال : سُئِلَ رسولُ اللّه ﷺ : أىُّ الناسِ

أحسنُ قراءةً؟ قال : « مَن إذا سمعتَهُ يقْرأُ رأيتَ أنه يَخْشى اللَّه عزَّ وجلَّ » .

[وجاء عند ابن ماجه برواية جابر بن عبد اللَّه رضى اللَّه عنهما بلفظ : « إنَّ من أحسنِ النَّاسِ صوتًا بالقُرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ ، حسبتموه يخشى اللَّه »] .

قال زيد بن أَسْلَم : قرأ أُبَيُّ بنُ كعب عند النبيِّ ﷺ ومعه أصحابه ، فرقُّوا فقال النبيُّ ﷺ : « اغْتَنِموا الدعاءَ عند الرِّقَّة فإنَّها رحْمة » .

فى كيفيَّة قراءة النبيِّ ﷺ :

عن قتادةَ رَحِمَه اللَّه ، قال : سألتُ أنسًا عن قراءةِ رسولِ اللَّه ﷺ فقال : **« كانَ يمدُّ مدًّا ، ثم قرأ : بسم اللَّه الرحمن الرحيم : يمدُّ بسم اللَّه ، ويَمُدُّ بالرحمن ، ويَمدُّ بالرَّحيم »** . [أخرجه البخارى] .

سأل يَعْلى بنُ مالك أمَّ سلمةَ رضي الله عنها عن قراءة رسول اللَّه ﷺ وصلاتِهِ؟ قالت : « ما لكم وصلاتُه ؟ ثم نعتتْ قراءتَه ، فإذا هى تَنعتُ قراءةً مُفسَّرةً حرفًا حرفًا » .

وفى رواية الترمذيِّ قالت : « ما لكم وصلاتُه؟ كان يصلِّى ، ثم ينام بقُدر ما صَلَّى ، ثم يُصلِّى قدْرَ ما نام ، ثم ينام قدْرَ ما صلَّى ، حتى يُصْبحَ ، ثم نَعَتَتْ قراءتَه ، فإذا هى تنعتُ قراءةً مفسَّرةً حرفًا حرفًا » .

وللترمذيِّ من رواية ابن أبى مُليكة عنها قالت : « كان رسولُ اللَّه ﷺ يُقَطِّع قراءَتَهُ : يقول : الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين ، ثم يقف ، الرحمنِ الرحيم ، ثم يقف ، وكان يقرأ : مَلِكِ يومِ الدين » .

وأخرجه أبو داود قال : قالت : « قراءةُ رسولِ اللَّه ﷺ : بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، الحمدُ للَّه ربِّ العالمين ، الرحمنِ الرحيمِ ، مَلِكِ يومِ الدين ، يُقَطِّع قراءتَه آيةً آيةً ».

فائدة :

وقد عدَّ بعضُهم الوقفَ على رؤوس الآى فى ذلك سُنَّةً ، وقال أبو عمرو : وهو أحبُّ إلىَّ ، واختاره أيضًا البيهقىُّ فى «شُعَب الإيمان» وغيرُه من العلماء ، وقالوا : « الأفضلُ الوقوفُ على رؤوسِ الآياتِ ، وإن تَعَلَّقتْ بما بعدَها ، قالوا : واتِّباعُ هَدْى رسولِ اللَّه ﷺ وسُنَّتِه أوْلى » .

وعائشةُ رضي الله عنها سُئِلت عن قراءةِ رسول اللَّه ﷺ فقالت : « أَوَ تَقْدِرون على ذلك؟ كان يقرأُ : بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، الحمدُ للَّه ربِّ العالمين ، يرتِّل آيةً آيةً » .

المفردات :

يُرَتِّل : ترتيلُ القراءةِ : التأنِّى والتمهُّل وتَبْيين الحروفِ والحركاتِ تشبيهًا بالثَّغر المُرتَّل : وهو المشبَّه بِنَوْرِ الأقْحُوان .

إِيَّاكُمْ وتَرجيعَ الغناء :

ذكر الإمامُ الحافظ أبو الحسين رزينُ وأبو عبد اللَّه الترمذىُّ الحكيم فى نوادر الأصول من حديثٍ عن حذيفةَ بن اليمان رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «اقرؤوا القرآنَ بلحُون العربِ وأصواتِها ، وإيَّاكُم ولحُونَ أهلِ العشق ، ولحونَ أهلِ الكتابين ، وسيجيءُ بعدى أقوامٌ يُرجِّعون بالقرآن ترجيعَ الغِناء والنَّوحِ ، لا يجاوزُ حناجِرَهم ، مفتونةٌ قلوبُهم ، وقلوبُ الذين يُعجِبهم شأنُهم» .

[أخرجه رزين ، ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وعزاه للطبرانى فى الأوسط وفى سند هذا الحديث مقال ولكنا أثبتناه لتأمُّل معناه والانتفاع به]

المفردات :

« بلحُون العرب » اللُّحون والألحان : جمعُ لحْن ، وهو التطريب وترجيعُ

الصوت ، وتحسينُ قراءةِ القرآن ، أو الشعر ، أو الغناء ، ويُشبه أن يكون هذا الذى يفعله قُرَّاء زماننا فى بعض المجالس من اللُّحون الأعجمِيَّة التى يقرءون بها مِمَّا نهى عنه رسولُ اللَّه ﷺ .

« يُرجِّعون » : الترجيع فى القراءة : ترديدُ الحروف ، كقراءة النَّصارى .

ماذا نقول؟

عن أبى هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : «مَنْ قرأ منكم : ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ ، فانتهى إلى قوله : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ . فلْيَقُلْ : وأنا على ذلك من الشاهدين» .

ومن قرأ : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ فانتهى إلى قوله : ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾؟ فَلْيَقُلْ : بَلَى ، وعزَّةِ رَبِّنَا .

ومَنْ قرأ : ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ فلْيَقُلْ : «آمنَّا باللَّه » .

قال إسماعيلُ بن أميَّةَ بن عمرو بن العاص الراوى عن الأعرابىِّ لهذا الحديث : ذهبتُ أُعِيد على الرجل الأعرابىِّ الذى رواه عن أبى هريرة ، وأنظر لعلَّه - أى لعلَّه نَسِى أو وَهِمَ فى شيء - قال : يا ابن أخي ، أتظنُّ أنِّى لم أحفظْه ، لقد حججتُ ستِّين حجَّةً ، ما فيها حجَّةٌ إلَّا وأنا أعرفُ البعيرَ الذى حججتُ عليه(١) - هذه رواية أبى داود .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النَّبِىَّ ﷺ كان إذا قرأ : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ قال : « سبحان ربِّى الأعلى » . [أخرجه أبو داود ، وقال وروى موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنه] .

---

(١) تصوير لقوة ذاكرته وعدم ذهوله عما يسمع ويحفظ .

فائدة : الاشتغال بالقرآن .

قال أهل السنُّة : القرآنُ كلامُ اللّه ، مُنزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ ، منه سبحانه بدأ وإليه يعود ، وهو مكتوب فى المصاحف ، محفوظٌ فى الصُّدور ، مَقروءٌ بالألسنة ، مسموعٌ بالآذان ، فالاشتغالُ بالقرآن من أفضلِ العباداتِ ، سواء كان بتلاوته ، أو بتدبرٌ معانيه ، فهو أساسُ الدِّين .

ما ترك القرآنُ شيئًا من أمور الدِّين إلَّا بيَّنه ، ولا من نظام الكونِ إلَّا أوْضَحه ، قال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ . [النحل : ٨٩] .

* * * *

أعوذ باللّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ .

[سورة الفتح : ٢٩]

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾﴾ .

[سورة الزمر : ٢]

إحصـــــــاء

روى سلام أبو محمدٍ الحِمَّانىُّ أن الحجَّاج بنَ يوسف جمع القرَّاء والحفَّاظ والكُتَّاب ، فقال : «أخبرونى عن القرآن : كم من حَرفٍ هو؟ قال : وكنتُ فيهم ، فَحسِبناه ، فأجمعْنا على أن القرآن ، ثلاثُمائةِ ألفِ حرفٍ وأربعون ألفَ حرفٍ وسَبعُمائةِ حرف ، وأربعون حرفًا «٣٤٠٧٤٠ حرفًا» .

قال : فأخْبرونى إلى أىِّ حرفٍ ينتهى نصفُ القرآن؟

فإذا هو فى الكهف : « **ولْيَتَلَطَّفْ** » **فى الفاء** .

قال : فأخبرونى بأثلاثه؟

فإذا الثُّلثُ الأوَّلُ رأسُ مائةٍ[١] من « سورة براءة » ، والثُّلث الثانى : رأسُ مائةٍ وإحدى من طسم[٢] «الشعراء» ، والثلث الثالث : ما بقى من القرآن .

قال فأخبرونى بأسباعه على الحروف ، فإذا أولُ سُبْع فى النِّساء : ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ فى «الدَّال من صدَّ»[٣] .

والسُّبْعُ الثانى فى الأعراف : ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾[٤] فى «التاء» من حبطت .

والسبع الثالثُ فى الرَّعد : ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾[٥] فى « الألف » فى آخر « أُكلها » .

---

(١) والثلث الثانى يبدأ من قوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ الآية .

(٢) الآية ١٠١ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ .

(٣) الآية ٥٥ .

(٤) الآية ١٤٧ .

(٥) الآية ٣٥ .

والسبع الرابع فى الحج : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾[١] فى «الألف» .

والسبع الخامس فى الأحزاب : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾[٢] فى «الهاء» .

والسبع السادس فى الفتح : ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾[٣] فى «الواو» .

والسُّبع السابعُ ما بَقِى من القرآن .

قال سلام أبو محمد : عملناه فى أربعة أشهر ، وكان الحجَّاجُ يقرأ فى كل ليلةٍ رُبعًا ، فأوَّلُ رُبعٍ خاتمةُ الأنعام ، والرُّبعُ الثانى فى الكهف «وليتلطَّف» ، والربع الثالثُ خاتمة الزُّمَر ، والربع الرابع ما بقى من القرآن .

أى كان الحجَّاجُ بنُ يوسفَ الثَّقَفىُّ والى العراق فى عهد بنى أميَّة يختم المصحف فى أربع ليالٍ ، وكان جيِّد الحفظ متينًا فى التَّرتيل .

عددُ آى القرآن :

العدد	
٦٢٣٦	آية مروىٌّ عن الإمام علىٍّ رضي الله عنه .
٦٢٠٤	عند البصريِّين

وأجمعوا على أن عددَها يزيد على سِتَّة آلافٍ ومائتىْ آية ، وأمَّا الخلافُ ففى العدد الزائد على ذلك ، فهو :

ستٌّ وثلاثون   آيةً عند الكوفيِّين

(١) الآية ٣٤ .

(٢) الآية ٣٦ .

(٣) الآية ٦ .

وأربعُ آيات	عند البصريِّين
وتسعَ عشرةَ آية	عند المكيِّين
وستٌّ وعشرون آية	عند الشاميِّين

عدد كلمات القرآن وحروفه :

عددُ الكلمات هو :

٧٧٤٣٩	فى قول عطاء بن يسار

عددُ الحروف

٣٢٣٠١٥	فى قول عطاء بن يسار
٣٤٠٧٤٠	فى قول سلام أبو محمد الحِمانىّ
٣٢١١٨٠	فى قول مجاهد

وجميعهم متَّفقون على أنها تزيد على : « ٣٢٠٠٠٠» ثلاثِمائة أَلْفِ حرفٍ وعشرين ألفَ حَرْفٍ .

* * * *

أسأل اللّه عزَّ وجلَّ أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجعله عملًا خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يُقَوِّيَ إيمانى ، ويسترَ عوْرَاتى ، وأن يحفظنا من شرِّ حاسدٍ إذا حسد ، ومن مكر حمالاتِ وحمَّالى الحطب ، وأن يُصلِّى ويسلِّمَ على الحبيب الهادى وعلى آله وصحبه وأحبابِه إلى يوم الدِّين .

آمين

القسم الخامس

* دعوات مأثورات
* ثَبَتُ المراجع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ .

[البقرة : ١ – ٥]

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

[البقرة : ٢٠١]

«أولاً : دعاء
ختم القرآن العظيم»
المأثور عن الإمام على زين العابدين بن الحسين ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللَّهُمَّ) اجْعَلْنا وَوَالِدينا ، ومَشايخَنا ومُعَلِّمينا ، وَوَالِديهمْ وَالْحَاضِرِينَ وَجميعَ الْمُسْلِمينَ : مِنْ عِبادِكَ الصَّالِحينَ الْمُفْلِحِينَ ، الْمُنْجِحِينَ[١] الْفَائِزِينَ البَارِّينَ النَّعِمِينَ[٢] ، الفَرِحِينَ ، الْمَسْرُورِينَ ، الْمُسْتَبْشِرِينَ الْمُطْمَئِنِّينَ ، الآمِنِينَ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ؛ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ .

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ العَظِيم ، وبَلَّغَ رَسُولُهُ النَّبِيُّ الْوَفِيُّ الْكَرِيمُ ، ونَحنُ عَلَى مَا قَالَ رَبُّنَا ، وَسَيِّدُنَا ، وَمَوْلانَا ، وَخَالِقُنَا ، وَرَازِقُنَا ، وَبَاعِثُنَا ، وَوَارِثُنَا ، وَنَصِيرُنَا وَمَنْ إلِيْهِ مَصِيرُنَا ، وَوَلِيُّ النِّعْمَةِ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ، وَلَهُ مِنَ الذَّاكِرِينَ وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُنْتَخَبِينَ ، وَعَلَى جَمِيعِ الْمَلائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، إِنَّ رَبَّنَا حَمِيدٌ مَّجِيدٌ .

الْحَمْدُ لله الَّذِى حَمِدَ فى الْكِتَابِ نَفْسَهُ ، واسْتَفْتَحَ بِالْحَمْدِ كِتَابَهُ

---

(١) المنجحين : أى الصائرين ذوى نُجح وظَفر .

(٢) النعمين : أى النضرين : يقال : نَعِمَ العود - كفَرِح - اخضرَّ ونضر .

وَاسْتَخْلَصَ الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ ، وَجَعَلَ الْحَمْدَ دَلِيلًا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَرَضِيَ بِالْحَمْدِ شُكْرًا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ .

الْحَمْدُ للَّهِ بجَمِيعِ مَحَامِدِهِ ، الْمُوجِبَةِ لِمَزِيدِهِ ، الْمُؤَدِّيَةِ لِحَقِّهِ ، الْمُقَدَّمَةِ عِنْدَه ، المَرْضِيَّةِ لَهُ ، الشَّافِعَةِ لأمْثَالِهَا[١] ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ وَيُسَلِّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ بِأَفْضَلِ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا ، وَأَنْ يَحْبُوَهُ بأَشْرَفِ مَنَازِلِ الْجِنَانِ وَنَعِيمِهَا ، وَشَرِيفِ الْمَنْزِلَةِ فِيهَا[٢] - يَا كَرِيمُ .

(اللَّهُمَّ) إِنَّكَ أَحْضَرْتَنَا خَتْمَ كِتَابِكَ الَّذِى عَظَّمْتَ حُرْمَتَهُ ، وَجَعَلْتَهُ مُهَيْمِنًا عَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ ، وَقُرآنًا أَعْرَبْتَ فِيهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ ، وَفُرْقَانًا فَرَقْتَ بِهِ بَينَ حَلالِكَ وَحَرَامِكَ ، وَكِتَابًا فَصَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلًا ، وَوَحْيًا نَزَّلْتَهُ عَلَى قَلْبِ نَبِيِّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بالْحَقِّ تَنْزِيلًا ، وَجَعَلْتَهُ نُورًا تَهْدِى مِنْ ظُلَمِ الضَّلالَةِ باتِّبَاعِهِ ، وَشَفِيعًا لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ إلى اسْتماعِهِ ، ومِيزَانَ قِسْطٍ لا يَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ (مَنْطِقُ) لِسَانِهِ[٣] ، وضَوْءَ هُدًى لا تُخْبِي[٤] الشُّبُهَاتُ نُورَ بُرْهَانِهِ ، وَعَلَمَ نجاةٍ لا يَضِلُّ مَنْ أَمَّ أى (قَصَدَ) سُنَّتَهُ ، ولا تنَالُ يَدُ الْهَلَكَةِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ - يَا كرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمَّ) فَإِذْ بَلَّغْتَنَا خَاتِمَتَهُ ، وَحَبَّبْتَ إِلَيْنَا تِلاوتَه ، وَسَهَّلْتَ عَلَى حَوَاشِي أَلْسِنَتِنَا حُسْنَ إِعَادَتِهِ؛ فَاجْعَلْنَا يَا رَبِّ (يَا أللَّه) مِمَّنْ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ، وَيَرْعاهُ

(١) أى التى تصير أمثالها شَفْعًا لها .

(٢) المنازل : الأمكنة . والمنزلة : الرتبة والدرجة .

(٣) لا يحيد : لا يعدل عن الحق .

(٤) لا تخبى : لا تطفئ : من أخبيت النار أطفيتها .

حَقَّ رِعَايَتِهِ ، وَيَدِينُ لَكَ باعْتِقَادِ التَّصْدِيقِ بِمُحْكَمِ بَيِّنَاتِهِ ، وَيَفْزَعُ إلى الإِقْرارِ بِمُتَشَابِهِ آياتِهِ ، وَالاعْتِرَافِ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ ، لا تُعَارِضُنَا الشُّكُوكُ فى تَصْدِيقِهِ وَلَا يَخْتَلِجُنَا الزَّيْغُ عَنْ قَصْدِ طَرِيقِهِ - يَا كَرِيمُ .

(اللَّهُمَّ) وَكَمَا جَعَلْتَ قُلُوبَنَا مُذَلَّلَةً بِحَمْلِهِ ، وَعَرَّفْتَنَا مِنْكَ شَرَفَ فَضْلِهِ فَاجْعَلْنَا يَا رَبِّ (يَا أَللّه) مِمَّن يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ ، وَيَأْوِى مِنَ الشُّبُهَاتِ إلى عِصْمَةِ مَعْقِلِهِ ، وَيَسْكُنُ فى ظِلِّ جَنَاحِ هِدَايَتِهِ ، وَيَهْتَدِى بِبَلَجِ إِسْفَارِ ضَوْئِهِ ، وَيَسْتَصْبِحُ بِضَوْءِ شُعْلَةِ مِصْبَاحِهِ ، وَلَا يَلْتَمِسِ الْهُدَى مِنْ غَيرِهِ - يَا كَرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمَّ) وَكَمَا نَصَبْتَهُ عَلَمًا لِلدَّلالَةِ عَلَيْكَ ، وَأَنْهَجْتَ بِهِ سَبِيلَ مَنْ نَزَعَاتُهُ إِلَيْكَ؛ فَاجْعَلْهُ وَسِيلَةً لَنَا إلى أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ ، وَسَبَبًا نَحْوى بِهِ النَّجَاةَ فى غُرْبَةِ الْقيامَةِ ؛ وَسُلَّمًا نَعْرُجُ فيهِ إلى مَحِلِّ السَّلامَةِ ، وَذَرِيعَةً نَقْدَمُ بها إلى نَعِيمِ دَارِ الْمُقَامَةِ - يَا كَرِيمُ .

(اللَّهُمَّ) واجْعَلْهُ لَنَا فى ظُلَمِ اللَّيالى مُؤْنِسًا ، وَلأَقْدامِنَا عَنْ نَقْلِهَا إلى الْمَعاصِى حابِسًا ، وَلأَلْسِنَتِنَا عَنِ الْخَوْضِ فى الْبَاطِلِ مِنْ غَيْرِ مَا آفَةٍ مُخْرِسًا وَلِجَوارِحِنَا عَنِ اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ زَاجِرًا ، ولِمَا طَوَتِ الْغَفْلَةُ عَنَّا مِنْ تَصَفُّحِ اعْتِبَارِهِ نَاشِرًا : حَتَّى تُوَصِّلَ إلى قُلُوبِنَا فَهْمَ عَجَائِبِ أَمْثالِهِ ، وَزَوَاجِرَ نَهْيِهِ الَّتى ضَعُفَتِ الجِبَالُ عَنِ احْتِمالِهِ - يَا كَرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمَّ) وَاجْبُرْ بِهِ خَلَّتَنَا بِالْغِنَى مِنْ عُدْمِ الإِمْلاقِ «أى الفقر الشديد» ، وَسُقْ إِلَيْنَا بِهِ رَغَدَ العيشِ وَخِصْبَ السَّعَةِ فى الأَرْزَاقِ ، وَاعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هَفْوَةِ

الْكُفْرِ وَدَوَاعِى النِّفَاقِ ، وَجَنِّبْنَا بِهِ الضَّرَائِبَ[١] الْمَذْمُومَةَ وَمَدَانِىءَ[٢] الأَخْلَاقِ ، حَتَّى تُطَهِّرَنا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ بِتَطْهِيرِهِ ، وَتَقْفُوَ بنا آثَارَ الَّذِينَ اسْتَصْبَحُوا بِنُورِهِ ، وَلَمْ يُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَيَقْتَطِعَهُمْ بِخَدَائِعِ غُرُورِهِ - يَا كَرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمَّ) وَكَمَا أَكْرَمْتَنَا بِخَتْمِ كِتابِكَ ، وَنَدَبْتَنا إلى التَّعَرُّضِ لجزيلِ ثَوابِكَ وَحَذَّرْتَنا عَلَى لِسَانِ وعِيدِهِ أَلِيمَ عَذابِكَ : فاجْعَلْنا يا رَبِّ (يا أَللّه) مِمَّنْ يُحْسِنُ صُحْبَتَهُ فى مَوَاطِنِ الْخَلوَاتِ ، وَيُنَزِّهُ قَدْرَهُ عَنْ مَوَاقِفِ التُّهماتِ ، وَيُجِلُّ حُرْمَتَهُ عَنْ أَمَاكِنِ الْوُثُوبِ عَلَيْهِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ؛ حَتَّى يَكُونَ لَنَا فى الدُّنْيَا عَنِ الْمَحَارِمِ ذَائِدًا ، وَإلى النَّجَاةِ فى غُرْبَةِ الْقِيَامَةِ قَائِدًا ، وَلَنَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيلِ حَلالِكَ وتَحْرِيم حَرَامِكَ شَاهِدًا ، وَبِنَا عَلَى خُلُودِ الأَبَدِ فى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَافِدًا - يَا كَرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمَّ) وَسَهِّلْ بِهِ عَلَى أَنْفُسِنَا عِنْدَ الْمَوتِ كُرَبَ السِّيَاقِ ، وَعَلَزَ[٣] الأَنِينِ إِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ التَّرَاق ، وتَجَلَّى مَلَكُ الْمَوْتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وسَلَّمَ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجُبِ الْغُيُوبِ وَقِيلَ مَنْ رَاق ؟ ، وزاف[٤] لَهَا مِنْ ذُعَافِ مَرَارَةِ الْمَوْتِ كَأْسًا مَسْمُومَةَ الْمَذَاقِ ، وَرَماهَا عَنْ قَوْسِ الْمَنَايا بِسَهْمِ وَحْشَةِ الْفِرَاق ، وَدَنا مِنَّا الرَّحِيلُ إلى الآخِرَةِ وَصَارَتِ الأَعْمالُ قَلائِدَ فى الأَعْنَاقِ وَكانَتِ الْقُبورُ هِى الْمأوَى إلى مِيقاتِ يَومِ التَّلاقِ - يَا كَرِيمُ .

* * *

(١) الضرائب : الطبائع مفردها ضريبة : وهى الطبيعة والسجية .

(٢) مدانئ الأخلاق : خسائسها ورذائلها ، جمع مدنأ ، مصدر ميمى بمعنى الدناءة .

(٣) العلز - بالتحريك - : الهلع الذى يصيب المريض والمحتضر .

(٤) زاف - بالزاى - : دفع . وفى نسخة بالدال المهملة بمعنى خلط . والذعاف - بالذال - : السم .

(اللَّهُمَّ) وَبَارِكْ لَنَا فى حُلُولِ دَارِ الْبِلَى[١] ، وَطُولِ الإقَامَةِ بَينَ أَطْبَاقِ الثَّرَى ، وَاجْعَلِ الْقُبورَ بَعْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا خَيرَ مَنَازِلِنَا ، وَافْسَحْ لَنَا بالْقرْآنِ العَظِيم ضِيقَ مَدَاخِلِنَا ، وَلَا تَفْضَحْنَا يَا مَوْلانَا فى حَاضِرِى الْقِيَامَةِ بِمُوبِقاتِ[٢] الآثام ، واعْفُ عَنَّا ما ارْتَكَبْنَا مِنَ الْحَرَامِ ، وارْحَمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فى مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقَامِنَا ، وَثَبِّتْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جُسُورِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْمجَازِ عَلَيها زَلَّةَ أَقْدَامِنا ، ونَجِّنَا بِهِ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَشَدَائِدِ أَهْوالِ يَوْمِ الطَّامَّةِ وَبَيِّضْ بِهِ وَجُوهَنَا إذا اسْودَّتْ وَجُوهُ الْعُصَاةِ فى مَوْقِفِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ - يَا كَرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمَّ) وَاصِلْ بِهِ صَلاحَ ظَاهِرِنَا ، واحْجُبْ بِهِ خَطَرَاتِ الْوسَاوِسِ عَنْ صِحَّةِ ضَمائِرِنَا ، وَاغْسِلْ بِهِ دَرَنَ قُلُوبِنَا وَمُوبِقَاتِ جَرَائِرِنَا ، وانْفِ بِهِ وَحَرَ[٣] الشُّكُوكِ عَنْ صِدْقِ سَرَائِرِنا ، واجْمَعْ بِهِ مُتَنَائِيَاتِ أُمُورِنَا[٤] ، واشْرَحْ بِهِ صُدُورَنَا ، وَيَسِّرْ بِهِ أُمُورَنَا ، واكْسُنا بِهِ حُلَلَ الأَمَانِ فى نُشُورِنَا ، وَأَطِلْ بِهِ في مَوْقِفِ السَّاعَةِ جَذَلَنَا وَسُرُورَنَا - يَا كَرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمْ) واحْطُطْ بِهِ عَنَّا ثِقَلَ الأَوْزَار ، وَهَبْ لَنَا بِه حُسْنَ شَمائِلِ الأَبْرَارِ ، واقْفُ بِنَا آثَارَ الَّذِينَ قامُوا لَكَ بِهِ آناءَ الليلِ وأَطْرَافَ النَّهارِ ، حتَّى تُوجِبَ لَنَا بِه فَوَائِدَ غُفْرانِكَ؛ وتُحَفَ بَوَادِى إِحْسَانِكَ ، ومَوَاهِبَ صَفْحِكَ وَمَغْفِرَتِكَ

---

(١) دار البلى : هى القبر .

(٢) موبقات : مهلكات .

(٣) الوحَر - بالتحريك - الغش .

(٤) متنائيات : متباعدات ومتفرقات : من تناءى ، بمعنى تباعد .

وَرِضْوَانَكَ ، يَا أَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ ، وَأَوْسَعَ[١] مَنْ جَادَ بِالْعَطَايَا ، طَهِّرْنَا بِكِتَابِكَ الْكَرِيمِ مِنْ دَنَسِ الْخَطَايَا ، وَهَبْ لَنَا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ عِنْدَ حُلُولِ الرَّزَايَا ، وامْنُنْ عَلَيْنَا بِالاسْتِعْدَادِ عِندَ نُزُولِ الْمَنَايا ، وعَافِنا مِن مَكْرُوهِ مَا يَقَعُ مِن مَحْذُورِ الْبَلايا - يَا كَرِيمُ .

* * *

أَتُرَاكَ تَغُلُّ[٢] إلى الأَعْنَاقِ أَكُفًّا تَضَرَّعَتْ إِلَيْكَ! وَاعْتُمِدَتْ فى الصَّلاةِ عِنْدَ الرُّكُوعِ والسُّجودِ بَيْنَ يَدَيْكَ[٣] ، أَوَ تُقَيِّدُ بِأَنْكالِ الْجَحِيمِ[٤] أَقْدَامًا سَعَتْ إِلَيْكَ وَخَرَجَتْ مِن مَنَازِلِهَا لَا حَاجَةَ لَهَا إِلَّا الطَّمَعَ وَالرَّغْبَةَ فِيما لَدَيكَ؛ مَنًّا مَنْكَ عَلَيْهَا (يا سَيِّدِى) لامَنًّا مِنْها عَلَيْكَ ، بَل لَيْتَ شِعْرِى[٥] ؛ أَتُرَاكَ تُصِمُّ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا[٦] أَسْماعًا تَلَذَّذَتْ بِحَلاوةِ تِلاوَةِ كِتابِكَ الَّذِى أَنْزَلْتَهُ ؟ أَوْ تَطْمِسُ بِالْعَمَى فى ظُلَمِ مَهَاوِيهَا أَبْصَارًا بَكَتْ إِلَيْكَ؛ خَوفًا مِّنَ الْعِقَابِ وفَزَعًا مِّنَ الحِسَابِ ! أَمَا وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ ، مَا أَصْغَتِ الأَسْمَاعُ حَتَّى صَدَّقَتْ ، ولا أَسْبلَتِ الْعُيُونُ وَاكِفَ الْعَبرَاتِ حَتَّى أَشْفَقَتْ ، ولا عَجَّتِ الأَصْوَاتُ إِلَيْكَ بالدُّعَاءِ حَتَّى خَشَعَتْ ، وَلا تَحَرَّكَتِ الأَلْسُنُ نَاطِقَةً بِاسْتِغْفَارِهَا حَتَّى نَدِمَتْ

---

(١) من أسمائه تعالى : «الواسع» أى ذو الفضل الشامل ، والنوالِ الكامل والرحمةِ العامة .

(٢) أتراك تغل إلخ : أى أيُظَنُّ بك أن تفعل هذا ! كلا !؟ فهو استفهام بمعنى النفى .

(٣) اعتُمدت : أى اتُّكئ على هذه الأكف فى الركوع والسجود ، والعبارة فيها تصرُّف لتوضيح المعنى وفى الأصل «اعْتَمَدَتْ فى صلاتها راكعة وساجدة . . .» .

(٤) أنكال الجحيم : قيودها فى الأقدام . وأما أغلالها ففى الأعناق .

(٥) ليت شعرى : أى ليتنى أعلم .

(٦) أطباقها : جمع طَبق - بفتح الأوسط - وهو الغطاء والغشاء والحال والمنزلة ، والمقصود أهوال جهنم وشدائدها ، والاستفهام هنا للنفى وهو على سبيل الرجاء والدعاء ، أى يا رب لا تصمّ - أى لا تسدّ - بزفير جهنم وحَرِّها أسماعًا طالما تلذذت بحلاوة سماع القرآن .

عَلَى مَا كانَ مِن زَلَلِهَا وَعِثَارِهَا ، فَيا مَنْ أَكْرَمَنَا بِالتَّصْديقِ ، عَلَى بُعْدِ أَعْمالِنَا مِنْ شَواهِدِ التَّحْقِيقِ : أَيِّدْنَا (اللَّهُمَّ) مِنْكَ يا رَبِّ فى هذِهِ السَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُبارَكَةِ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ بِالْعِصْمَةِ وَالتَّوفِيقِ - يَا كَرِيمُ .

(اللَّهُمَّ) وآنِسْ وَحْشَتَنَا بِطَاعَتِكَ يا مُؤْنِسَ الْفَرْدِ الْحَيْرَانِ فى مَهَامِهِ الْقِفَار وَتَدَارَكْنَا بِعِصْمَتِكَ يَا مُدْرِكَ الْغَرِيقِ فى لُجَجِ الْبِحَارِ ، وَخَلِّصْنَا (اللَّهُمَّ) بِلُطْفِكَ مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ الأَهْوَالِ والأَخْطَارِ ، وَصَلَّى اللَّه عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الأَخْيَارِ صَلاةً يَغْبِطُهُمْ بِها مَنْ حَضَرَ الْمَوْقِفَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَصَلِّ (اللَّهُمَّ) عَلَى آبائِهِ وإِخْوانِهِ مِنَ الأَنبياءِ والْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَى أَتباعِهِ وأَشْياعِهِ مِنَ الْمُوَحِّدِين ، وَعَلَى أَزْواجِهِ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهاتِ الْمُؤْمِنينَ وَعَلَى أَبِينا آدَمَ وأُمِّنا حوَّاءَ وَمَنْ وَلَدَا مِنَ الْمُؤْمنينَ ، وَعَلَى الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ وتَابِعِى التَّابِعِين ، مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إلى يَوْمِ الدِّينَ ، وَعَلَيْنا مَعَهُمْ وفيهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

[وَهَبَ اللَّه[1] لَنَا وَلَكُمْ سَوالِفَ الآثَامِ ، وَعَصَمَنَا وَإِيَّاكُمْ فِيما بَقِىَ مِنَ الأَيَّام ، وَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصَّلاةَ وَالقِرَاءَةَ وَالصَّدَقَةَ ، والدُّعَاءَ والْحَجَّ والصِّيام ، وأَحَلَّنَا وَإِيَّاكُمْ بِرَحْمَتِهِ دَارَ السَّلَام ، وَلَا أَرَانا وَإِيَّاكُمْ قَبِيحًا بَعْدَ هَذَا الْمَقام وَتَلَقَّى أَمْوَاتَنا وأَمْواتَكم وأَموات الْمُسلمينَ بالإتحافِ والإِكْرام ، والإِنعام] .

وصلَّى اللَّهُ على محمدٍ خَيرِ الأنام ، وعلى آله الخِيرَةِ الْبَرَرَةِ الْكِرَام وَسلَّم تسليمًا كثيرًا والحمدُ للَّه رَبِّ العالمين ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . [ختام سورة الصافات] .

* * *

(١) الظاهر أن ما بين المربعين إنما يقال عند ختم الجمع من القراءة فى حضورهم : كما فى المقارئ المعروفة .

« ثانيًا : دعاء

ختم القرآن العظيم »

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني

بسم الله الرحمن الرحيم

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمُتَوَحِّدُ فى الْجَلالِ بِكَمالِ الْجَمالِ تَعْظِيمًا وَتَكْبِيرًا ، الْمُنْفَرِدُ بِتَصرِيفِ الأَحْوَالِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالإِجْمَالِ تَقْدِيرًا وَتَدْبِيرًا ، الْمُتَعَالى بِعَظَمَتِهِ وَمَجْدِهِ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ، لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيرًا ، وَصَدَقَ رَسُولُه ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ، الَّذِى أَرْسَلَهُ إلى جَمِيعِ الثَّقَلَينِ الجِنِّ وَالإِنْسِ بَشِيرًا وَنَذيرًا ، وَدَاعِيًا إلى اللَّه بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا .

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِكَ الْعَظِيمَةِ ، وَآلائِكَ الْجَسِيمَةِ حَيْثُ أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا خَيْرَ كُتُبِكَ ، وَأَرْسَلْتَ إِلَيْنَا أَفْضَلَ رُسُلِكَ ، وَشَرَعْتَ لَنا أَفْضَلَ شَرَائِعِ دِينِكَ ، وَجَعَلْتَنَا مِنْ خَيرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وَهَدَيْتَنَا لِمعَالِمِ دِينِكَ الَّذى ارْتَضَيْتَهُ لِنَفْسِكَ وَبَنَيْتَهُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أن لَّآ إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَّسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضانَ وَحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرامِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا يَسَّرْتَهُ مِنْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضانَ وَقِيَامِهِ وَتِلاوَةِ كِتابِكَ الْعَزِيزِ الَّذِى : ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ . [فصلت : ٤٢]

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَما صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ .

اللَّهُمَّ إِنَّا عَبِيدُكَ بَنُو عَبِيدِكَ بَنُو إِمَائِكَ نَوَاصِينَا بِيَدِكَ مَاضٍ فِينَا حُكْمُكَ عَدْلٌ فِينَا قَضَاؤُكَ :

نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قُلُوبِنَا ، وَنُورَ صُدُورِنَا ، وَجِلَاءَ أَحْزَانِنَا ، وَذهَابَ هُمُومِنَا وَغُمُومِنَا .

اللَّهُمَّ ذَكِّرْنَا مِنْهُ مَا نَسِينَا وَعَلِّمْنَا مِنْهُ مَا جَهِلْنَا ، وَارْزُقْنَا تِلاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ عَنَّا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يُحِلُّ حَلالَهُ وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ ، وَيَعْمَلُ بِمُحْكَمِهِ ، وَيُؤْمِنُ بِمُتَشَابِهِهِ وَيَتْلُوهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّن يُقِيمُ حُدُودَهُ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يُقِيمُ حُرُوفَهُ وَيُضَيِّعُ حُدُودَهُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ فَقَادَهُ إِلَى رِضْوَانِكَ وَالْجَنَّةِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنِ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنُ فَزَجَّ فِي قَفَاهُ إِلَى النَّارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ هُمْ أَهلُكَ وَخَاصَّتُكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ وانْصُرْهُمْ على عَدُوِّكَ وعَدُوِّهِمْ ، واهْدِهِمْ سُبُلَ السَّلامِ ، وأخْرِجْهُم مِّنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ أَبَدًا مَّا أَبْقَيْتَهُمْ ، وَاجْعَلْهُمْ شَاكِرِينَ لِنِعَمِكَ مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ قَابِلِيهَا ، وَأَتِمَّهَا عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِجَمِيعِ مَوْتَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا لَكَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَلِنَبِيِّكَ بالرِّسَالَةِ ، وَمَاتُوا عَلَى ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ ، وَعَافِهِمْ وَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُمْ وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُمْ ، وَاغْسِلْهُمْ بِالْماءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، ونَقِّهِم مِّنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كما يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا

بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠] .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وآجِلِهِ ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ ، وَمَا لَمْ نَعْلَمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ ، وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، ونَسْأَلُكَ مِنْ خَيرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ ورَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ وعِبَادُكَ الصَّالِحُونَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ ورَسُولُكَ مَحَمَّدٌ ﷺ وعبَادُكَ الصَّالِحُونَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَنَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ سَخَطِكَ وَالنَّارِ .

اللَّهُمَّ لَا تَدَعْ لنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ ، وَلا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ ، وَلَا دَيْنًا إِلَّا قضَيْتَهُ ، وَلا مَرِيضًا إِلَّا شَفَيْتَهُ وَعَافَيْتَهُ ، وَلا حَاجَةً هِى لَكَ رِضًا وَلنَا فِيها صَلاحٌ إِلَّا قَضيْتَهَا ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،

رَبَّنَا اغْفِرْ لنا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فى أَمْرِنَا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنتَ الوهَّابُ .

رَبَّنَا لا تُؤَاخِذنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، ربَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصرًا كَما حَمَلْته عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا ، وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلانَا ، فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

ربَّنَا آتِنَا فى الدُّنيا حَسَنَةً وَفى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عذَابَ النَّارِ .

سُبْحَانَ رَبِّكَ ربِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

* * *

ثَبَت المراجع

الكتاب	المؤلف	القرن الهجري
١- تفسير القرطبى «الجامع لأحكام القرآن»	لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى	السابع
٢- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز «الجزء الأول»	لأبى محمد عبد الحق بن عطية الغرناطى	السادس
٣- تفسير ابن كثير «الجزء الأول»	الإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى	الثامن
٤- فضائل القرآن	للإمام ابن كثير	الثامن
٥- جامع الأصول فى أحاديث الرسول الجزء الثاني : تحقيق عبد القادر الأرناؤوط	الإمام مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد : ابن الأثير الجزرى	السابع
٦- الناسخ والمنسوخ	لأبى القاسم هبة الله بن سلامة	الخامس
٧- مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنَّة	للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى	العاشر
٨- صفوة صحيح البخارى «الجزء الثالث»	لشيخنا الجليل الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر	الرابع عشر
٩- شرح المختار من هدى الرسول ﷺ	لشيخنا الجليل الشيخ محمد داود بيهى	الرابع عشر
وكتب أُخرى		

رسالة من (إدارة التربية الإسلامية)
بوزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية

سعادة الأخ مدير إدارة المكتبات المدرسية المحترم

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته - وبعد :

إشارة إلى شرح معالى الوزير برقم ١٤٣٢ وتاريخ ٦/ ٤/ ١٤٠٢ هـ حول كتاب مع القرآن الكريم تأليف / أحمد بن محمد طاحون .

وبالاطلا ع عليه وجدته نافعًا لطلابنا - إن شاء اللّه - فقد تضمن فصولًا جيدة حول القرآن الكريم وعلومه وما ينبغى له من آداب ، وبحوثًا قيمة حول مكانة السنَّة النبوية الشريفة وحجِّيَّتها مراعيًا في كل ذلك سلاسة الأسلوب ووضوح الأفكار وجمال العرض .

ويكون مفيدًا إن تمكنت إدارة المكتبات من توفيره بمكتبات المدارس العامة ومدارس تحفيظ القرآن الكريم بصفة خاصة .

ولكم تحياتي ،،،،

مدير إدارة التربية الإسلامية
حمد إبراهيم الصليفيح

* * *

تم الفراغ من تأليف هذا الكتاب فى عام ١٣٩٩ من الهجرة (١٩٧٩ من الميلاد) وتم طبعه أول مرة في عام ١٤٠٠ من الهجرة (١٩٨٠من الميلاد) ثم طُبع مرارًا وهذه طبعة عام ١٤١٨هـ من الهجرة (١٩٩٧من الميلاد) وهى طبعة مزيدة والحمد للّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وقد تمت المراجعة فى شهر المحرم ١٤١٨هـ (مايو ١٩٩٧) ، وقد تمت هذه الطبعة الثالثة فى عام ١٤٢٦ (٢٠٠٥) بالقاهرة .

أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع به ويجعله في ميزان الحسنات ، وأن يكفر عنا السيئات ويحشرنا في زمرة الذين رضي الله عنهم من أهل القرآن .

المؤلف
أحمد بن محمد طاحون

كشّاف الكتاب